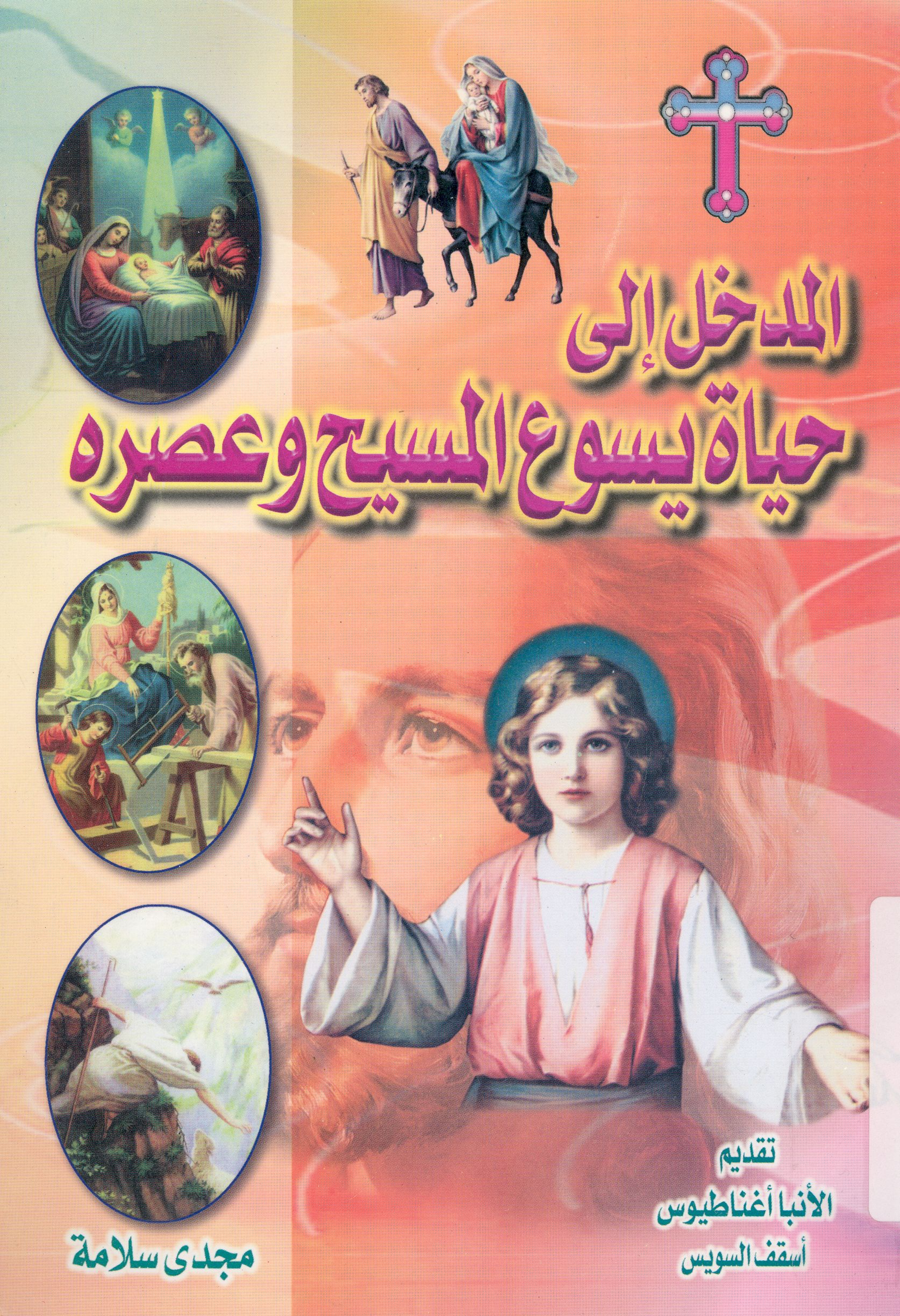


المدخل إلى حياة يسوع المسيح وعصره

تقديم
الأنبا أغناطيوس
أسقف السويس

مجدى سلامة


المدخل إلى حياة يسوع المسيح وعصره
تقديم
الأنبا أغناطيوس
أسقف السويس
مجدى سلامة
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

الـــــــكـــــــتـــــــاب : المدخل إلى حياة يسوع المسيح وعصره

المـــــــؤلـــــــف : مجدى سلامة

الكومبيوتر وفصل الألوان : مكتب سكانينج هاوس لفصل الألوان ت: ٢٤٠٢٣٧٧ - ٦٣٧٠٢٥٠

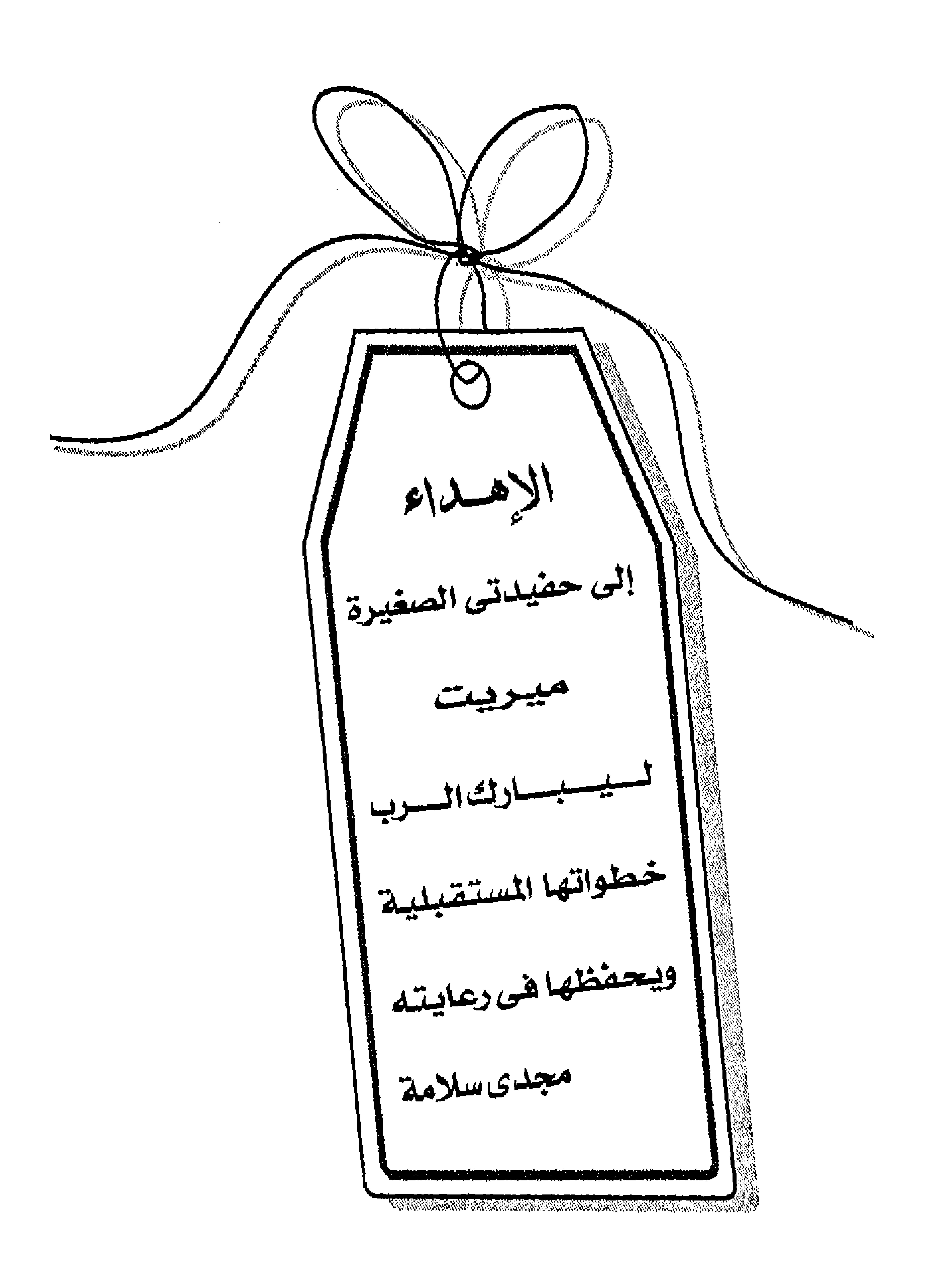
المـــطـــبـــعـــة : مكتب النسر للطباعة ت: ٢٤٢٠٩٧١

رقـــم الإيـــــداع: ٣٨٠٦ / ٢٠٠١



حضرة صاحب القداسة البابا المعظم

الأنبا شنوده الثالث


الإهــداء
إلى حفيدتى الصغيرة
ميريت
لــيــبــارك الـــرب
خطواتها المستقبلية
ويحفظها فى رعايته
مجدى سلامة



تقديـــم

لصاحب النيافة الحبر الجليل
الأنبا أغناطيوس
أسقف السويس

فى لحظة لاتعرف إن كانت قد حسبت من الزمن أو لم تحتسب، التقى المؤلف بالبابا كيرلس السادس.

فانطبعت فى أعماقه، طاقة روحية خلاقة. ظلت هذه الطاقة، حبيسة صاحبها المبارك الأستاذ مجدى سلامة.

ألتقيت بالمؤلف المبارك لأول مرة، فأعجبنى شخصه الذى يمتاز بالتدين الهادىء العميق، المملوء بالتقوى والقناعة التى هى تجارة عظيمة. يحب الرب من كل قلبه. ذو ابتسامة عريضة سمحة، تشف عن نفس مستنيرة بالأعمال الصالحة ومحبة الرب يسوع. وديع متواضع مثل الحمل، نشيط محب للعمل. ملتزم بالإداريات الدقيقة بصورة رقيقة. فهو كسحابة هادئة، تظلل كل من يقترب إليها. يحبه كل من يتعامل معه. يعيش بوداعة وهيبة ووقار.

أعجبت بنظراته العميقة، التى تمتاز بالشفافية والحكمة مع بساطة القلب وتواضع جم وذكاء نفاذ.

قرأت كتبه الأدبية، فأعجبت بأسلوبه السلس الرقيق، الذى يغوص فى الأعماق، فيستخرج منها اللآلىء النفيسة. فاقترحت على شخصه الحبيب، أن يتحول إلى الإنتاج الكنسى، لكى يقوم بخدمة روحية، ليملأ حاجة ملحة لدى الشعب المسيحى، ويملأ فراغاً فى موضوع هام، وهو تاريخ الكنيسة القبطية وشخصياتها التى تملأ العالم برائحتها الذكية.

مثلاً الرهبنة فى العالم كله، نشأت وتأسست فى مصرنا الحبيبة، بواسطة العظيم فى القديسين، الأنبا أنطونيوس أب جميع الرهبان، وتلميذه الأول ريحانة القديسين، القديس مقاريوس الكبير، ويشاركهم القديس العظيم الأنبا بيشوى، الذى غسل قدمى مخلصنا الصالح.

وبمحبة نادرة، وعطاء منقطع النظير للرب يسوع وكنيسته القبطية، تحول المؤلف المبارك، إلى مؤرخ كنسى بارع، أضاءت كتبه الكنيسة القبطية، وأظهرت رائحة المسيح الذكية فى شخصياتها النادرة الإلهية.

فعلى بركة الله، أيها الإبن المبارك مجدى سلامة، يحفظك ملاك السلامة.

١٢ / ١ / ٢٠٠١
تذكار القديس العظيم
يوحنـــا الإنجيلـى الطاهـر

المحب
الأنبا أغناطيوس
خادم وأسقف محافظة السويس

مقدمة

هذا الكتاب حوار مع قديس من خلاله حاولنا أن نلقى الضوء على مجمل للعهد القديم وأسفاره وأنبياء اليهود

لقد تناول الكتاب طوائف الفريسيين والصدوقيين والكتبة ومصالحهم وعقائدهم وأوجه الخلاف بينهم، حتى يتسنى لكل باحث، وكل تواق إلى المعرفة، أن يجد بغيته فى هذه الطوائف الثلاثة وتأثيرها.

لم نغض الطرف عن ثلاث شخصيات مؤثرة فى عصر المسيح، وعلاقتهم الوثيقة بمحاكمة المسيح وصلبه، هؤلاء الأشرار هم هيرودس وبيلاطس البنطى وقيافا رئيس الكهنة.

ولما كان الكتاب مدخلاً إلى حياة يسوع المسيح له المجد، فلزم علينا أن نقدم القديس يوسف النجار، باعتباره (خطيب العذراء)، وكذلك السيدة العذراء مريم، باعتبارها أم المخلص لذلك قد أفردنا لهما فصلاً كاملاً، قدمنا فيه لمحة تاريخية عن حياة العذراء منذ الولادة وحتى النياحة، بأسلوب مشوق، متضمناً الكثير عن فضائلها ومميزاتها ومعجزاتها.

أما هروب العائلة المقدسة إلى أرض مصر، فقد تتبعنا رحلتها بالكامل منذ خروجها من بيت لحم ووصولها إلى أرض مصر، وكل الأماكن التى مروا بها عند وصولهم أو عودتهم، متضمنة ما صنعه الطفل يسوع المسيح من معجزات خارقة.

لقد كان من الضرورى أن نتطرق إلى كاتبى البشائر الأربعة، متى ومرقس ولوقا ويوحنا، وكذلك الإثنى عشر تلميذا، فقدمنا حياتهم وأعمالهم- كل على حده- بإيجاز ومتعة سوف يدفعانك لمتابعة الكتاب.

عزيزى القارئ

إن هذا الكتاب بموضوعاته سوف يكون دليلاً ومرشداً، وبركة لشباب الجيل وأسرهم، ومدخلاً هاماً لكل باحث ودارس وقارئ لمعرفة حياة المسيح ومعجزاته وتعاليمه.

وإنى أضع هذا الكتاب، بين يدى من أحبنا وفدانا ليجعله سبب بركة لكل من يقرأه، بفضل صلاة أبينا الطوباوى، قداسة البابا شنوده الثالث، ولإلهنا الصالح كل مجد وكرامة أمين.

مجدى سلامة

[١] أضواء على العهد القديم

- أستأذنك ياقديسنا المبارك أن تبدأ بإلقاء الضوء على العهد القديم.

- فى تتبعنا لحياة (اليهودى) نجد أنه كان أوفر أهل الأرض سعادة، كما كان أشدهم تعباً وشقاءً. كيف؟

- لقد خلق الله أبويه، وأقامهما سيدين مطلقين على الفردوس، ولم يكن لديهما عمل سوى أن يحبا الله، ويحب أحدهما الآخر. وهذا هو العهد الأول الذى قطعه الله معهما. ولذلك عاشا من غير أن يعرفا حزنا أو اضطرابا.. فلم يكن فى الطبيعة ما يرعبهما أو يخيفهما. حتى أن الموت مع شدة هوله لم يرعبهما، لأنه لم يكن قد وجد بعد.

ولما كانت المخالفة الأولى قد سببت لهما النفى من الفردوس، وحكم على الرجل بأن يشتغل ويحصل على خبزه بعرق جبينه، كما قضى على المرأة أن تلد الأولاد بالأوجاع.

حقاً إن العمل متعب وشاق ولكن كان يأتى بثمرة الحصاد اللذيذ، كما كانت الولادة رغم الآلام والأوجاع فقد كانت تجلب الأولاد تعزية للرجل والمرأة. غير أن هذه التعزية نفسها والمسرات الناقصة لم يطل عهدها فى تاريخ الأبوين الأولين، فزالت وابتلعها الشيطان.

- فقام الأخ لأول مرة وقتل أخاه، فأنتن الدم المسفوك ظلماً على الأرض وتولد الإثم والخطية، واتحد الناس بالشياطين وولى الجبابرة والسفاحون الذين حولوا نعيم هذا العالم جحيماً.

- لذلك أرسل الله قصاصه الثانى للإنسان المارق عن شريعته والناكث لعهده

فقضى عليه بالفناء فهطلت الأمطار وجاء الطوفان فأخذ المنافقين وشرورهم، ولم يبق سوى رجل واحد، كان باراً فى عينى الرب مع أسرته، فقطع الله معه عهداً ثانياً.

- لقد كانت أيام نوح فاتحة عهد جديد سعيد فى تاريخ الأجيال، فالآباء الرعاة الرحل المعمرون، الذين قضوا حياتهم تائهين بين مصر وبلاد الكلدان، ينشدون المراعى الخصبة حيث الماء والسلام. فلم تكن لهم بلاد مختصة بهم، ولا مدينة ولا بيت. فكانوا يسافرون منتنقلين من مكان إلى مكان بقوافلهم العديدة، ومعهم نساؤهم المثمرات بالأولاد، وأولادهم وكنائنهم وحفدتهم، وخدمهم وخادماتهم، وثيرانهم وأبقارهم وعجولهم وكباشهم وتيوسهم، وخرافهم وجمالهم وخيولهم ومعزهم، ومعهم أيضاً آنية الذهب والفضة، وكذلك التماثيل المصنوعة من المعادن والأحجار الثمينة، تملأ أخراجهم وأكياسهم.

- لقد كانوا إذا بلغوا النقطة الأخيرة من رحلتهم، ينصبون خيامهم قريبة من عين أو بئر، فكان كبير الأسرة يجلس فى ظلال الجميز، يراقب الضجيج المتعالى من أصوات الحيوانات، ويتابع الرعاة العائدين من أشغالهم، وكذلك النساء والأطفال. كان يراقب ويتأمل كل ذلك والغبطة تملأ قلبه، وعلائم القناعة والرضى بادية على وجهه المشرق بنور الإخلاص، وهو ينظر أمام عينيه، ثمر بطنه المتكاثر بالمحبة، ويفرح إذ يرى البركة تكثر أمواله ومواشيه سنة فسنة، فيسبح بحمد ربه شاكراً.

- وكثيراً ما كان ملاك الرب يهبط من السماء ليزوره، وقبل أن يقدم رسالته التى حملها إليه، كان يجلس إلى مائدته ويأكلان معاً. بل إن الرب نفسه

قد تنازل مرة فى حر النهار، وأتى بزى مسافر وجلس مع الشيخ كبير الرحل فى ظلال الخيمة، فحيّا كل منهما الآخر بشوق ومحبة، ثم جلسا وجهاً لوجه يتخاطبان ويتحادثان.

● وهكذا صار رأس القبيلة وسيد العبيد، عبدا وخادما فى دوره لسيده وربه، مصغيا إلى أوامره ونصائحه ومواعيده وإنذاراته ونبواته. هذا هو العهد الثالث، الذى أمضاه الرب مع إبراهيم، وهو أشد وقاراً واحتراماً من العهدين الأولين.

– وبعد ذلك نرى ابن أحد الآباء، الذى باعه إخوته عبدا، نراه سيدا ومنقذا فى أرض الفراعنة من الفاقة والموت، ووجدوا أنفسهم ثانية، فى أرض خصيبة وبلاد سعيدة، فتكاثروا وأثروا، وبلغوا شأوا رفيعاً من النجاح والفلاح.

● ولكنهم ما لبثوا أن ذلوا، وأغراهم المصريون فعبدوا آلهتهم، فحمى غضب الرب، وقضى عليهم بالقصاص الثالث، واستعبدهم المصريون وأذلوهم، وسلبوا كنوزهم وراحتهم، ولكى تطول أيام عبوديتهم، قسي الرب قلب فرعون، لكى يزيد فى استعبادهم وقهرهم. وأخيراً أرسل إليهم المخلص الثانى، فأزال أوجاعهم وأخرجهم من مصر وأنقذهم.

– غير أن مصائبهم وتجاربهم، لم تنته بهم عند ذلك الحد، فقد تاهوا بعدئذ فى البرية أربعين سنة، يتقدمهم عامود دخان نهاراً، وعامود نار ليلاً. ثم وعدهم الرب بأرض الموعد الخصبة الخضراء، التى تدر لبناً وعسلاً، الأرض المظللة بأشجار الزيتون والكرمة المثمرة، ولكنهم كانوا متشوقين إلى مصر، لأنه لم يكن لديهم ماء ليشربوا، ولا خبزاً ليأكلوا، ولذلك كانوا

يتذمرون متوجعين، ففجر لهم الرب الماء من الصخرة وأنزل عليهم من السماء المن والسلوى.

- بيد أن أولئك اليهود، وقد كلّوا وسئمت نفوسهم السفر، عادوا فأغضبوا إلههم، وصنعوا لهم عجلاً من النحاس، وقاموا يعبدونه. فعاد (موسى) حزيناً مهملاً، يلحق به شعبه مرغماً. وترك ذلك الشعب المتمرد، وسأل الله أن ينقله إلى دار الراحة الأبدية. ولكن يهوه الرب القديس كان يريد أن ينفذ العهد الرابع مع شعبه، فأطال أجل موسى، حتى هبط من الجبل الملتحف بالدخان والضباب والبرق والرعد، وهو يحمل اللوحين الحجريين، اللذين كتب عليهما الله الوصايا العشر المقدسة. أما موسى فلم يكن له أن ينظر أرض الموعد عن كثب، وهي الفردوس الجديد، الذي كان الإنسان قد اقترب من احتلاله، بعد أن خسر فردوسه الضائع.

- ولكن وعد الله لم يتغير مع شعبه، فقد قطع (يشوع) والأبطال الذين كانوا معه نهر الأردن، ودخلوا أرض كنعان، وأخضعوا لهم الشعوب، التي كانت ساكنة في تلك النواحي، وكانت المدن تسقط تحت أقدامهم لدى سماع أصوات أبواقهم، والنبية (دبورة) تنشد أناشيد الغلبة والانتصار، وكان الشعب يحملون معهم رب الجنود مختبئاً وراء الخيام، على عجلة تجرها الثيران، أما أعداؤهم فكانوا كثيرين جداً ولم تكن لهم رغبة في أن يخلوا لهم الأرض لكي يسكنوها. غير أن اليهود- وأكثرهم رعاة ولصوص في ذلك العهد- كانوا ينتصرون عليهم تارة، وينكسرون طورا. ينتصرون عندما كانوا يحافظون على الشريعة، وينكسرون عندما كانوا يهملونها.

- ● وبعد ذلك نرى بينهم ذلك الجبار النذير، يقتل وحده ألوفاً من العمالقة والفلسطينيين، ولكن ما لبث أن أغوته امرأة، ففقأ الأعداء عينيه، وجعلوه يدير حجر الرحا بيديه، ولكن الجبابرة والأبطال لا يكفون وحدهم لتأسيس الممالك، التى يحتاج عمرانها إلى الملوك والرؤساء.

- – ولذلك نرى شاباً من نسل بنيامين، بينما كان ماشياً فى البرية يفتش عن حمير أبيه الشاردة، يلاقيه نبىّ ويمسحه بالزيت المقدس، ويقيمه ملكاً على جميع الشعب الإسرائيلى. وهكذا صار (شاول) ملكاً. وكان مدرباً على الحرب ذا قوة شديدة، فبطش بالعمونيين والعمالقة، وأسس مملكة عسكرية، ذاعت شهرتها بين جميع القبائل المجاورة، فوقع رعبها فى القلوب، ولكن النبى عينه الذى أقامه ملكاً نقم عليه، وأقام له مناظرا يعكر صفو حياته ويقلق راحته.

- ● ثم نرى (داوود) الراعى الصغير، يقتل عدو الملك الجبار، ويخفف من غضب الملك بأنغامه الشجية، فيقع حبه فى قلب ابن الملك الأكبر، ويتزوج من إبنة الملك ويصبح فى مقدمة المقربين منه، ولكن شاول المتقلقل الفكر، أراد أن يقتله حسداً منه وخوفاً. ففر داوود ولجأ إلى الجبال مختبئاً فى كهوفها ومغاراتها.

- – وعندما كسر الفلسطينيون شاول وقتلوه، صار داوود ملكاً فى موضعه على إسرائيل. فأقام ذلك الراعى الجسور والشجاع، العظيم كملك وشاعر، والشهوانى القاسى، مملكة فى أورشليم، وتمكن بمساعدة رجال حاميته، من قهر سائر الممالك المجاورة والتسلط عليها. وكان ذلك أول مرة فى التاريخ، نرى اليهودى فيها مرهوباً مهاباً يخشى الناس بأسه. بيد أنه ظل أجيالاً طوالاً بعد ذلك، وهو راسف فى أغلال العبودية، يحن إلى تجديد

مملكة داوود، ويتوقع مجئ رجل من نسل داوود لكى يخلصه من عبوديته الغريبة المرة.

- كان داوود ملك السيف والغناء، أما (سليمان) فكان ملك الذهب والحكمة، لأن الذهب كان يقدم إليه ضريبة، فزين به الهيكل الفخم الأول للإله يهوه، وكان يرسل المراكب إلى البلاد البعيدة فى طلب الذهب، وقد جاءت ملكة سبأ من بلاد المشرق، وطرحت تحت قدميه أكياس الذهب علامة خضوعها، ولكن وفرة الذهب والفضة، وغزارة الحكمة والمعرفة، لم تقدر على حفظ ذلك الملك، من الطيش والدعارة وصيانة مملكته من الخراب والدمار. فإنه تزوج نساء غريبات، وعبد آلهة غريبة. ولكن الرب صفح عن شيخوخته إكراماً لشبابه، غير أن المملكة انقسمت بعد موته. وهكذا بدأت أجيال العار، فقامت المكايد فى القصر، وتكاثر اغتيال الملوك، وتمرد القواد وثاروا على رؤسائهم، وشبت نيران الحروب الأهلية فى البلاد، وكثرت عبادة الأصنام، وازداد عدد المقبلين عليها، حتى عمّت البلبلة سائر أنحاء المملكة، وساد الانتقام بين الجميع.

- فقام الأنبياء ينذرون ويوبخون، ولكن الملوك كانوا يديرون لهم أذانا صماء، أو يضطهدونهم، أو يطردونهم. فقويت شوكت أعداء إسرائيل، وازدادت سطوتهم. فغزت الممالك الغريبة مملكة إسرائيل، بعد أن تضعضعت قواها. فجاء الفينيقيون والمصريون والأشوريون والبابليون، وغزوا البلاد بعضهم وراء بعض، وأرهقوا كاهلها بالضرائب. فقبل ميلاد يسوع بستمائة سنة. جاء البابليون وضربوا أورشليم، وهدموا هيكل رب الجنود، وقادوا اليهود أسرى إلى شواطئ أنهار بابل، فى ذلك الحين طفح كيل شرور اليهود

وإلحادهم، فثار عليهم غضب الرب، الذى أنقذهم من عبودية المصريين، فعاد وأسلمهم عبيداً للبابليين. هذا هو القصاص الرابع الذى قاص به الله اليهود. وهو أشد قصاص نزل بهم لأنه كان بلا نهاية.

- ومنذ ذلك الحين، قضى على اليهود أن يتفرقوا بين أمم غريبة عنهم، وأن يحكمهم الغرباء والأجانب عن بلادهم. غير أن بعضاً منهم عادوا إلى أورشليم بعد ذلك، لكى يجددوا بناء الهيكل، فلم ينجحوا لأن البلاد كانت ترتجف تحت أقدام الاسكيثيين الذين غزوها، وتدفع الجزية للفرس. وفى الوقت ذاته كان يحكمها اليونانيون. ولذلك كانت حروب المكابيين، آخر عهد اليهود فى السعى وراء استرجاع مملكتهم، التى قضى عليها أخيراً، أن تدفع إلى أيدى سلالة من برابرة العرب الخاضعين للرومان.

– إن هذا الشعب، الذى عاش العديد من السنين، فى هناء حرا طليقاً فى الصحراء، وتمتع بالسعادة لفترة على الملوك والسلاطين، الشعب الذى طالما اعتقد، أنه أول الشعوب وأفضلها على الأرض، باعتباره الشعب الذى ترقبه عين الإله وترعاه، نراه أخيراً يرتجف تحت أقدام الغرباء السفاحين، تعمل فيه سيوفهم فتقتل شيوخه وشبابه على السواء، نراه هزءاً وسخرية على وجه الغرباء، وأضحوكة فى أفواه جميع الأحياء.

- بيد أن عاره، وما قدر له من الخزى والمذلة، قد إزداد بعد موت (يسوع المسيح)، إذ نرى أورشليم خربة خاوية مرة ثانية، والهيكل رجاسة خراب، ولا قوة ولا كلمة، فى أرض داوود وسليمان إلا لليونانيين والرومانيين، وبقية إسرائيل تتبعثر على وجه الأرض، كالغبار المتطاير من أمام الريح الشرقية السموم.

- حقاً إنه لم يقم فى العالم شعب، أحب الله كما أحب هذا الشعب إلهه، ولم يقم شعب أدبه ربه، كما أدب يهوه شعبه. فإنه بعد أن اختارهم لكى يكونوا الأولين، صاروا عبيداً لعبيد الآخرين، وبينما نراهم يتوقون إلى أن تكون لهم بلاد قوية مختصة بهم، نراهم عبيداً وغرباء، منفيين فى بلاد ليست لهم. ومع أنهم كانوا رعاة أكثر مما كانوا رجال حرب وقتال، فإنهم لم يذوقوا طعم السلام قط، لا مع الغرباء ولا مع بعضهم البعض. كانوا يحاربون جيرانهم وضيوفهم وقوادهم وكثيرا ما حاربوا أنبياءهم وإلههم نفسه.

- ولكن هذه البلاد النابعة شراً وفجوراً التى كان يتحكم فيها المجرمون والسفاحون، والغادرون والزناة، والفاسقون واللصوص، والحكام المرتشون، هذه الأرض الفاسدة، أرض الكفر والإلحاد، قد أنجبت بالرغم من ذلك.

- أشرف النساء، اللواتى ولدن أقدس وأطهر أنبياء المشرق وقديسيه الأطهار، وأخيراً جاء من نسلهن أبو القديسين الجديدين، الذى كان حجة لكل الآباء والأنبياء، وأملهم الوحيد للخلاص.

- إن هذا الشعب الذى لم ينبغ فى روحانية، ولا علم ولا موسيقى، ولا حفر ولا تصوير ولا هندسة، قد كتب أعظم أشعار العالم القديم اللامعة، بأنوار وحى المزامير والأنبياء، والفخورة برقة قصص يوسف وراعوث التى لاتجارى، والملتهبة بعاطفة نشيد الأنشاد الخالدة.

- لقد نشأ هذا الشعب، فى وسط كثرت فيه الطقوس والتقاليد البالية، والآلهة الغريبة، وعبادة الأوثان، ولكنهم بلغوا إدراك كنه محبة الله السماوى العام لجميع العالم، كانوا أغنياء فى وفرة ذهبهم، وكثرة أملاكهم وأرضهم، بيد

أنهم يفاخرون العالم بأنبيائهم الذين كانوا أول من دافع عن حقوق الفقراء، واحتقار ثروة الأغنياء.

- إن الشعب الذى طالما ذبح الأبرار، على مذابح عبادتهم وفى هياكلهم، وحرق مدنا برمتها بجميع من فيها من كبار وصغار. هذا الشعب نفسه، قد قدم تلاميذ مساعدين، لذلك الوديع الذى علم الناس أن يحبوا أعداءهم.

- إن هذا الشعب، الذى كثيراً ما كان يترك إلهه، ويتبع آلهة غريبة، لم يبق من هيكلهم، الذى بنى وتهدم ثلاث مرات، سوى جانب من حائط حقير، عار من جميع أمجاد سليمان وزينته، يجتمع إليه الراثون والنادبون، ويخفون دموعهم فى ظله. إن هذا الشعب الذى تجمعت فيه المتناقضات- فكان أسعد شعوب الأرض كما كان أتعسها- هو الشعب، الذى صلب يسوع المسيح قائده ومخلصه، وسفك دمه على الصليب.

- ما رأيك يا أبانا القديس المبارك. كما ألقينا الضوء على العهد القديم، أن نلقى الضوء على أنبياء اليهود، الذين قاموا بإنذارهم، منذ بداية ملكهم إلى حين تشتت شملهم وعبوديتهم، فى أيام الملوك العظماء، وأيام النصر والرخاء، وفى أيام النفى الحزينة، وفى أيام العبودية المرة، وفى أيام الشتات المشئومة.

[٢] أنبياء اليهود

- الأنبياء ياولدى، لم يعلنوا وحيهم ونبوءاتهم للناس من المغاور والكهوف من على كراسيهم، ولكنهم تكلموا وأنبأوا الناس بالمستقبل، غير أنهم لم يحصروا كلامهم بالمستقبل وحده، لأنهم كانوا ينبئون بأمور لم تحدث بعد، وفى الوقت نفسه، كانوا يذكرون الناس، بما مضى من حوادث الأجيال الغابرة، فكانوا مسيطرين على الزمان بمظاهره الثلاث، يحلون رموز الماضى، ويكشفون أسرار الحاضر، وينذرون بما سوف يأتى به المستقبل وحوادثه التى لم تحدث بعد.

- لقد كان النبى اليهودى صوتا يتكلم أو يدا تكتب، صوتاً يتكلم فى قصور الملوك، وفى كهوف الجبال، ومن على درجات الهيكل، وفى قدس أقداس يهوه الإله العظيم.

- كان صوتاً يرتفع بالصلاة، وصلاة تتعالى بالإنذار والوعيد، ووعيداً يتحول إلى الرجاء والآمال المقدسة. وكان قلبه مضغوطاً بالحزن، وفمه ممتلئاً مرارة وعلقماً، وذراعه مرتفعة بالإرشاد منذرة بالدينونة الآتية على الجاهلين. كان يتكلم من أجل شعبه، ويوبخهم من فرط حبه لهم. وكان يعاقب الناس لكى يطهرهم من خطاياهم، وبعد سيلان الدماء فى ساحات المذابح، واندلاع ألسنة النيران فى الحرائق، كان يعلم بالقيامة والحياة وبالغلبة والبركة، بملك داوود الجديد والعهد الباقى إلى الأبد.

- كان النبى يقود المشركين من ظلمة الشرك إلى نور رب العالمين الحق، ويذكر الخائن بإيمانه وأقسامه، ويسأل الرحمة للفقير المسكين، ويرجع

المحبة والشفقة إلى قلب الظالم الأثيم، ويعيد الطهارة للنجس، والرحمة للأشرار والظالمين، والعدالة للملوك، والطاعة للثائرين المتمردين، والقصاص للخطاة، والضعة للمتكبرين.

- وكان يدخل قصور الملوك فيوسعهم توبيخاً وتأنيباً، وينحدر إلى رعاع الشعب، فيؤدبهم بسياط الحق والمعرفة، ويبكت الكهنة ورؤساءهم، غير متغاض عن عيوبهم ونقائصهم، ويقابل الأغنياء، فيبعث بهم إلى ما هم أهل له من الحيرة والخذلان. وكان يعلن التعزية للحزين، والأجر والثواب للمضطهدين والصابرين والصحة للمرضى، والحرية للأسرى والمستعبدين، وعودة الظافر القاهر للأمة الوضيعة الحقيرة.

- لم يكن النبى، من طبقة الملوك أو الأمراء، أو الكهان والمتشرعين بل كان فقيراً مسكيناً، من عامة الناس المحتقرين والمنبوذين من الجميع. كان صوتاً وحيداً منفرداً، صوتاً حزيناً مضغوطاً بالكآبة والآلام، صوتاً ينذر ويصرخ بالعار، صوتاً منادياً بالتوبة ومغفرة الخطايا، وواعداً بالحياة الأبدية والخلود.

- لم يكن النبى فيلسوفا، ولم يكن يهمه إذا كان العالم قد تكون من الماء أو من النار، إذا لم يكن للماء والنار من قوة، على تطهير نفوس أبناء العالم.

- كان النبى شاعراً، بيد أنه لم يكن مختاراً فى شاعريته، فكان يصوغ فى حدة غيظه، وجلال وحيه، صوراً ذات قوة معنوية خالدة، لا يبلغ إليها خيال شاعر أو أديب على هذه الأرض.

- لم يكن النبى كاهناً، لأنه لم يكن ممسوحاً بالزيت من خدام الهيكل

الطامعين المستأجرين، للمحافظة على تابوت العهد. ولم يكن ملكاً، لأنه لم تكن له السلطة على رجال الحرب الأشداء المسلحين، ولم يكن له من سيف، سوى الكلمة الهابطة من فوق من السماء، ولم يكن جندياً، بل كان مستعداً أن يموت في سبيل إلهه وشعبه في كل لحظة.

- كان النبي صوتاً متكلماً باسم الرب، ويداً تكتب ما يمليه عليها الله، وكان رسولاً أرسله الله، لهداية الضالين على الصراط المستقيم، الذين نقضوا العهد، ولم يحفظوا حرمة أقسامهم وأيمانهم.

– كان النبي أمين أسرار الله ونائبه، وموضع إرادته على الأرض، ولذلك كان أعظم من الملوك لأنهم لم يكونوا يطيعون الله، وكان أعظم من الكهان، لأنهم لم يفهموا شريعة الله، وكان أعظم من الفلاسفة الذين ينكرون الله، كان أعظم من سائر أبناء الشعب، لأنهم تركوا الله ليعبدوا أصناماً من الحجارة والأخشاب.

- النبي هو الذي ينظر، بقلب متأمل وعين يقظة إلى الشرور السائدة في العالم، والعقاب القريب، ويشاهد ملكوت السعادة، الذي يلي العقاب والتوبة.

– لقد كان النبي، لساناً ناطقاً للأبكم الأصم، ويداً كاتبة للأقطع المسكين، ومنقذاً رؤوماً للمظلومين والمضطهدين المشتتين في شقائهم، والمدافع عن حقوق المساكين، والمنتقم للمنسحقين تحت الأقدام، وهم يئنون متوجعين، وليس لهم من يصغي إلى أنينهم. كان رفيق المغلوب المرتجف تحت سنابك الخيل، ونصير المبغي عليهم والمستعبدين. ولم يكن يخالط المشبعين والشرهين، بل كان يقضي حياته مع الجياع والبائسين، كان

صوتاً مضطرباً لجوجاً، سابقاً لأوانه، ممقوتاً من العظماء، محتقراً من العامة. وقلما كان يفهمه أحد حتى تلاميذه المقربون.

- كان النبى فى إسرائيل، يروح ويجئ فى الأزقة والشوارع، والعيون ترقبه حسداً وغدراً، والألسنة تندلع عليه بالشتائم واللعنات.

– لم يكن يرحب به أحد من أفراد الشعب، سوى الفقراء والمضطهدين، غير أنهم ضعفاء، لايعرفون إلا أن يستمعوا إليه صامتين. وككل المنادين بالحق، الذين يقلقون راحة العامة الغافلين، ويزعزعون دعائم سلامة الأسياد المستبدين، كان يتجنبه الناس ويخشونه ويضطهدونه.

- كان الملوك يبغضونه، لأنه كان يوبخهم لظلمهم وغدرهم. وكان الكهنة يعاملونه كزنديق كافر، لأنه كان يزيح الستار عن مراوغتهم وريائهم، وكان الأغنياء يحتقرونه لأنه كان يشبعهم توبيخاً على طمعهم وبخلهم.

– لأجل ذلك كله، نرى (إيليا) يهرب من أمام غضب إيزابيل، زوجة آخاب وقاتلة الأنبياء، و(عاموص) يطرد من بيت إسرائيل، فى أيام أماصيا كاهن البعل، و(أشعياء)، يقتل بأمر منسى، و(أوريا) يذبح بأمر الملك يواكيم، و(زخريا) يقتل بين الهيكل والمذبح، و(يونان) يطرح فى لجة البحر، و(يوحنا المعمدان) تقطع رأسه بحد السيف، والصليب يهيأ لكى يعلق عليه (يسوع).

- كان النبى ناقداً للعيوب، وقاضياً على الجرائم، ولكن قلما يعترف الناس بعيوبهم، ويقرون بجرائمهم. كان النبى الشفيع الصالح، الذى يقود تابعيه إلى الحياة، ولكن العميان قلما يريدون أن يقودهم أبناء نور.

- كان النبى رسولاً مبشراً بالحياة، غير أن الأصم عبثاً تنذره بالبشائر والمواعيد. كان النبى مخلصاً ولكن الناس يستلذون حياتهم القذرة، وأمراضهم الوبائية ولايريدون لأنفسهم راحة أو شفاء.

● غير أن كلمة الأنبياء، هى الشهادة الخالدة، لهذا الشعب الذى مع أنها أذلته وأنزلته عن عرش أمجاده، فقد كان لها من القوة، ما جددت به ميلاده ثانية.

- لأن موت نبى واحد، وهو أعظم الأنبياء أجمعين، قد كان وحده كافياً، لأن تكفر عن خطايا وجهالات جميع الشعوب الذين كانوا يتمرغون فى قذارات الأرض وحمآتها.

● على كل يا أبانا القديس المبارك، لقد كان من الضرورى الإشارة فى عجالة إلى العهد القديم، وأنبياء ذلك العهد،.

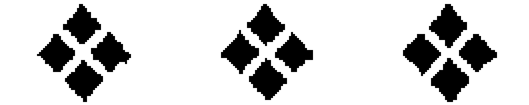
- توطئة للدخول فى عصر المسيح.

● وأستأذنك يا أبانا، أن يكون الفريسيون والصدوقيون والكتبة موضع حوارنا، حتى يتسنى لشباب جيلنا، أن يعرفوا الكثير عن هذه الفئات الثلاث أو بالأحرى الأحزاب الثلاثة.

- بل هناك من الشخصيات المؤثرة فى عصر المسيح، ما يجب أن يتناوله حوارنا مثل.

● هيرودس الكبير، وبيلاطس البنطى، وقيافا رئيس الكهنة.

- لنبدأ بالفريسيين والصدوقيين والكتبة.



[٣] الفريسيون والصدوقيون والكتبة

- ترى من هم الفريسيون ياقديسنا المبارك؟

- هم القوم المتزمتون المتمسكون بالتقوى المستمدة من أحكام ناموس موسى. لقد أصروا على تطبيق فرائض الناموس، فى كل دقائق الحياة وتفاصيلها. ولتحقيق هذه الغاية، فصلوا أحكام الناموس تفصيلاً مسهباً. لقد استخدم الفريسيون المجامع لتعليم الشعب، حيث كانت تقرأ فيها وتشرح أسفار الكتاب، وبالطبع برز فى هذه المجامع فى الوجود، المعلمون والكتبة الذين تولوا الشرح والتفصيل والتطبيق والاستنباط، وأصبحت التفاصيل والشروح التى أنتجها المعلمون والكتبة، ذات سلطان قوى، وقد سميت تقليد الشيوخ، وقد دانها السيد المسيح ورأى فيها النواحى المظلمة فى الناموس- وعلى كل فالفريسيون كانوا يمثلون اليهودية الضيقة المعتدة بذاتها، المخلصة لناموسها، لذلك رجفوا من تدخل الأجنبى الغريب، وحامت شبهاتهم حول أى تقارب، بين اليهودية وبين أية حكومة عالمية رومانية كانت أو يونانية.

- أستأذنك يا أبانا، أن نوسع دائرة الحوار عن الفريسيين، حتى يتسنى لمحبى المعرفة والدراسة والبحث الاستفادة.

ويا ليتنا نعرف المزيد من التفصيل والشرح للحركة الفريسية؟

- لقد كانت الحركة الفريسية، وليدة نزاع طويل بين اليهودية وبين الوثنية المجاورة لها. وقد بلغ هذا النزاع ذروته يوم نهض الأمراء المكابيون للكفاح، فى سبيل الحرية الدينية والمدنية. وفى ختام الكفاح القومى،

نهضت جماعة دينية أسمت نفسها «المقدسين» وأنفصلت عن حزب الصدوقيين، قبل عصر المسيح بحوالى مائة سنة، وأقامت لنفسها نظاماً وطقوساً معينة للطهر. ثم صارت بعدئذ «أخوية» تتألف من أربع درجات، وأطلقت على أعضائها اسم الفريسيين أو المعتزلة.

وانتمى الفريسى العادى إلى أدنى هذه الدرجات الأربع وكان يقبل بعد قطعه عهودا معينة، وقضاء سنة كاملة تحت التمرين والاختبار، وكان من تعهداته أن يراعى قواعد العشور وأن يتجنب كل ما ينجس ويدنس. وكانت تحسب أسرة من يأخذ على عاتقه هذه العهود داخلة فى الأخوية. وإذا إنضم إلى الأسرة فرد بالزواج كان عليه أن يطلب القبول فى الرتبة.

- على كل لقد كان فرضاً على الزميل فى الرتبة، أن لايبيع أو يشترى من أحد خارج عن الأخوية، ولا يأكل على مائدته، خشية أن يكون بين الأطعمة، ما لم يدفع عنه العشور، ولا يدعوه إلى مائدته إلا إذا ارتدى ثياب الفريسى نقية، خشية أن تكون ثيابه الأصلية مدنسة.

- بل كان محرماً عليه، أن يذهب إلى المدافن، أو أن يدفع عشوراً، لأى كاهن من غير الأخوية. بل لقد أضيفت إلى هذه النواهى فى تاريخ متأخر، بعض الوصايا الأخرى فى الزهد والتقشف، ومن الغريب أن التدنيس كان ممكناً بين أفراد الرتب المختلفة، فكما أن ثياب الغريب قد تدنس الفريسى العادى فى أدنى الرتب، فإن ثياب هذا الأخير قد تدنس فريسياً فى رتبة أعلى.

- لقد كان الفريسى إذا حانت ساعة الصلاة، لايعبأ بما حوله، بل كان يقف حتى على قارعة الطريق، أو وسط ضوضاء السوق، ويتلو صلاته بصوت

عال، ولم يكن ثمة شئ يمنعه عن القيام بهذا الغرض، وكانت الصلاة المطولة فى عرفه أفضل وأقوى من المختصرة. وكان تكرار الأدعية والعبارات فى نظره، فضيلة لها جزاؤها.

- كما كان الفريسيون يلبسون العصائب العريضة وقت الصلاة طوعاً لوظيفة الناموس. وهذه العصائب عبارة عن أكياس مربعة من الجلد، يبلغ عرضها نحو قيراطين. تصنع من جلد حيوان مطهر، حسب الطقوس الدينية، وكان يضع إحدى العصابتين على الجبهة، وتربط الأخرى على الذراع الأيمن. لقد كان الفريسى يلبس هذه العصائب فى كل وقت، بغض النظر عن ساعات العبادة، وكانوا يحسبون هذه العصائب أقدس من اللوحة الذهبية، التى كان يرتديها رئيس الكهنة، لأن هذه اللوحة اشتملت على اسم الجلالة مرة واحدة. أما تلك فثلاث وعشرين مرة، وكان لابسها يشار إليه بالتقوى والثقافة، ويمتاز عن الشعب الذى لايفهم الناموس.

- لقد كان الفريسيون، يعظمون أهداب ثيابهم، من قبيل الطاعة الحرفية لوصية الناموس.

- كما كان الشعب ينظر إلى الفريسيين نظرة احترام وتقدير، لأنهم بدأوا حركتهم فى أول الأمر بداية حسنة، ونشطوا فى نشر مبادئهم، واكتسبوا الأنصار والأتباع، ولكن سرعان ما ركنوا إلى رجعية جامدة، قيدتهم بقيود ضيقة، فاشتهروا بأنهم حزب المحافظين الرجعيين، الذين يمثلون اليهودية الضيقة.

- على كل كانت توجد دائماً بين صفوفهم، أفضل العناصر الطيبة فى الأخلاق والتقوى، كما خصصوا أنفسهم للتعليم ونشر الدعوة اليهودية،

وكانوا حياة المجمع وروحه فى عصرهم. وهم بلا شك قد مهدوا الطريق لعمل المسيح، بولائهم للدين القويم واعتصامهم باليهودية الأصلية.

- لقد كان الفريسيون دائماً أقلية، حتى قيل إن عددهم فى عصر هيرودس الملك، لم يزد عن ٦٠٠٠ شخص، كما كانوا حزب الأحبار وفقهاء الشرع وعلماء الدين.

- لقد قيل إن يسوع نفسه، كان متعاطفاً مع الفريسيين أكثر من أى حزب آخر. على الرغم من نعته إياهم، بأقسى ألفاظ النقد اللاذع المر، فقد قبل الأنبياء والناموس المسطور فى الأسفار المقدسة، ومثلهم آمن بالقيامة من الأموات، ومثلهم تجول فى الحضر والريف، يعلم الشعب فى المجامع.

- لقد انضم الفريسيون، إلى الحركة المسيحية فى بداية عهدها بأعداد كثيرة، ومنهم شاول الطرسوسى، الذى صار فيما بعد بولس الرسول.

- على كل يمكن أن نقول إن الفريسيين كانوا دائماً أقلية، وكان بينهم وبين عامة الشعب جفوة، وذلك بصلابتهم فى تطبيق الناموس، وتثقيل كواهل الشعب بالأعباء الدينية، ومع تشددهم وتصلبهم لم يغفلوا مصالح الشعب كلية.

- على كل الذى جذب الشعب إلى طائفة الفريسيين، أنهم يمثلون الطبقات المتوسطة، وفئة العاملين الكادحين. لقد آمن الفريسيون بخلود النفس، والقيامة من الأموات، وحكمة القضاء والقدر التى بيد الله. كما أنهم نظروا إلى النواحى الأخلاقية فى الدين، أكثر من النواحى اللاهوتية، لذلك وضعوا أحكاماً تفصيلية للناموس تزيد عن الستماية، وزعموا أن هذه التقاليد والأحكام والنواهى، تلقاها موسى فوق جبل سيناء.

- وماذا عن الصدوقيين يا أبانا العزيز؟

- الصدوقيون كانوا من طبقة الأغنياء والموسرين، ذوى الأملاك والإقطاعيات، لايقلون صرامة عن الفريسيين، وقد طبقوا شرائعهم وتقاليدهم. لقد استباحت ثرواتهم لهم كل شئ.

- لقد أنكر الصدوقيون القيامة من الأموات وحكمة القضاء والقدر كما لم يؤمنوا بخلود النفس.

- على كل الصدوقيون هم الحزب الكهنوتى، ومن بين صفوفهم تجند كل خدمة الهيكل، وقد استوطنوا أورشليم وما حولها حيث قام الهيكل– وهو الهيكل الذى شيد فى عصر هيرودس الكبير، على أنقاض هيكل سليمان وهيكل زربابل– كما كان الصدوقيون المحافظون، فلم يقبلوا إلا الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس، وحسبوا ما عداها غير قانونية، لم يقيموا وزناً كثيراً للرجاء اليهودى فى مجئ المسيا المنتظر، وكانوا عالميين ماديين أغرتهم المطامع المادية، وأثروا إثراء فاحشاً من إيرادات الهيكل، لذلك مقتوا أى تمرد على السلطات، وبسبب هذه المادية المفرطة، وتواطئهم مع روما، ورفضهم أحكام الناموس التى تشبث بها الأحبار، وتغافلهم عن مصالح الشعب، لم يكن لهم شئ من النفوذ الشعبى.

- ويقال إن هذه الطائفة الصدوقيين، تنتسب إلى كاهن قديم (صادوق)، عاش فى عصر داوود وسليمان، وأن سلالته هم الكهنة الشرعيون دون سواهم.

- لذلك يمكن القول، بأن الصدوقيين كانوا حزباً كهنوتياً. له ميول سياسية عنيفة، برزت على أشدها فى عصر المكابيين.

- لقد كانت إدارة الشئون السياسية، فى بداية الفترة اليونانية، فى التاريخ اليهودى، فى أيدى الأرستقراطية الكهنوتية، ونظراً لاندماج الكنيسة والدولة، لم يكن مناص من اشتراك الكهنة فى معترك السياسة. ولما كان أكثر السياسيين يعنون فى جهادهم بتدعيم نفوذهم الشخصى، أكثر من عنايتهم بخير الأمة ومصلحتها، كان من أثر هذا الميل الطبيعى، أن ينحاز أولئك الكهنة أصحاب النفوذ والسلطان، ويحتفظوا بمناصبهم وإقطاعياتهم، والكهنوتية حين تنفصل عن الشعب، تغدو قاسية متطرفة فى مطالبها وأعمالها.

– لذلك إشتهر حزب الصدوقيين، بأنانايته وخدمة مصالحه، وعدم إكتراثه بخير الشعب.

- ولم يكن ممكناً لإنسان أن يكون صدوقياً، إلا إذا كان فى الأصل، من أفراد أسرة أرستقراطية أو كهنوتية راقية.

– على كل لم ينضم صدوقى واحد، إلى الكنيسة المسيحية فى أول نشأتها، ولم يكن للصدوقيين وجود مستقل، خارج أورشليم والهيكل، ولذلك اندثر اسمهم من التاريخ، بعد سقوط الدولة اليهودية وخراب الهيكل وأورشليم.

- على كل لم يكن للصدوقيين، نظام عقائدى معين خاص بهم، كما عارضوا الفريسيين فى أربع نقاط.

– فانكروا العقيدة الفريسية عن القيامة بالجسد، وأنكروا الرجاء المرتقب فى المسيا، وسخروا من وجود الملائكة والأرواح، وأنكروا حقيقة وجود عناية إلهية تقرر مصير الإنسان.

● من كل ماسبق يمكننا أن نقول، إن الصدوقيين كانوا على نقيض الفريسيين، فقد كانت علاقتهم بالمجمع وعبادته ضعيفة، واقتصر سلطانهم ونفوذهم على أورشليم وهيكلها، واستمسكوا بناموس موسى، ولكنهم أنكروا النظم والتقاليد، التى إبتكرها وفصلها المعلمون والكتبة حول الناموس، وكانوا فى الواقع حكام الدولة اليهودية وسادتها، والأعضاء البارزين ذوى الجاه والنفوذ فى مجلس الأمة (السنهدريم) ومقره أورشليم– وبفضل هذا المركز الممتاز، كان لهم ضلع فى الشئون الخارجية، وإضطروا إلى اجتناب العزلة والتقرب إلى السلطات اليونانية والرومانية.

– لقد كانوا كما سبق أن قلت على نقيض الفريسيين، فلم تكن لهم صلة بحياة أبناء الشعب فى الريف، ولا بالمهاجرين اليهود الذين نزحوا إلى البلدان الأجنبية، والتفوا حول المجامع فى المدائن الكبرى، فى حوض البحر المتوسط. وأعتقد لهذا السبب، لم يواجه المسيح التعصب اليهودى، إلا حين جاء إلى أورشليم، واصطدم بقوة الصدوقيين والأسرة الكهنوتية المسيطرة على الحزب، والتى كان يعين منها رئيس الكهنة، وهذه طبعاً خشيت من تعاليم يسوع ودعوته، التى كانت تهدد الهيكل ونظمه وأمواله.

● بعد أن عرفنا الفريسيين والصدوقيين، فهل لنا أن نعرف من هم الكتبة؟

– الكتبة كانوا طبقة من اليهود المتعلمين، أفرزوا أنفسهم لدراسة الناموس وكتابته وتفسيره. وهم فى العهد الجديد، الكتبة والمحامون والمعلمون والأحبار. لقد كانت لهم كرامة ممتازة فى أعين الشعب، أما فى أعين تلاميذهم فكانوا أعظم من والديهم، وأينما ذهبوا كانوا موضع الاحترام

والتبجيل. كانت لهم في مجلس السنهدريم- وهو المحكمة اليهودية العليا التي حكمت على المسيح بالموت- مقاعد، واحتلوا في المجمع المقاعد الأمامية، وفي الولائم والمآدب الخاصة أو العامة كانت لهم مقاعد الشرف، وفي الشوارع والطرقات حياهم الناس بكل تأدب واحترام. وكان من الامتيازات المشرفة أن يتزوج المرء من ابنة الحبر. أو يحمل له حمله، أو يجلب له الماء، أو يحمّل له دابته.

- لقد كانت مهمة الكاتب وظيفة شرف بدون مقابل، فإذا لم يكن لأحدهم دخل خاص، كان يكسب عيشه بأداء عمل أو تجارة. ومع أن الكاتب لم يكن يتناول أجراً على وظيفته، فمما لاشك فيه أنه كانت تقدم له الهدايا والتقدمات، لأن المهنة كان لها جانبها المادي العالمي.

- لأن الحبر كان يختن الأطفال، ويعلم الصغار، وينظم الزيجات، ويكتب عقود البيع والشراء، والسلف والاتفاقات المالية، وباختصار الكثير من المسائل العامة، التي كانت تقتضي معرفة فنية، بما يمكن أن نسميه الآن بالقانون المدني.

- لقد كانت أورشليم المركز الرئيسي للكتبة، على أنهم وُجدوا في كل مكان استوطنه اليهود. لقد ظهر الكتبة لأول مرة عند العود من السبي.

- ولذلك نجد في سفر نحميا، بيانا عن قراءة عزرا لسفر الشريعة، وختمه بخاتم الشعب، وذلك لأن الناموس بعد إعادته وتوطيده، احتاج لمن يتولى شرحه وتأويله، وكان هذا في أول الأمر من واجبات الكهنة. ولكن اقتضى الحال فيما بعد، لا قراءة الناموس فقط بل كتابته. وكان هذا من نصيب الذين أجادوا الكتابة وحذقوها. وعلى مر الزمن، أضيفت واجبات الشرح

والتحليل والاجتهاد، إلى الأعمال الأدبية المحض حتى علا شأن وظيفة الكاتب، وسمت فوق وظيفة الكاهن، وصار الكتبة معلمى الشعب الحقيقيين، وامتلكوا زمام حياته الروحية.

- على كل لم يكن اليهود، يميزون تمييزاً تاماً بين الشريعتين الدينية والمدنية. والذى حدث أن الشعب لجأ إلى الكتبة، ليفصلوا فيما نسميه اليوم بالمسائل المدنية، بموجب أحكام الشريعة الدينية. ومع ذلك نستطيع القول، إن الألسنة كانت تتناقل أقوال الأحبار شفوياً، وتستخدم كأدلة فى أية قضية. لذلك كان على الكاتب، أن يكون قوى الحافظة، ليعى من هذه الأقوال والأحكام قدراً كافياً. أما التعليم، فكان بواسطة التكرار الشفوى. وكان يحذر التلاميذ، لكيلا يتعلموا شيئاً لم يسمعوه من أفواه معلمهم.

- فإذا حدث أن عرضت مسألة، على بساط البحث والمناقشة. كان يفصل فيها بالإستناد إلى سابقة مماثلة، وباقتباس آية من الأشعار المقدسة، أو حديث متواتر له سنده، أما إذا تعذر الفصل فى أمر ما بإحدى هذه الوسائل، فكان على الكتبة أن يفصلوا فى الأمر بالقياس والتشبيه. وهكذا حصرت كل مسائل السلوك، فيما هو جائز وفيما هو غير جائز، وسمى هذا التحليل أو التحريم.

- كما كانت هناك بيوت خاصة للتعليم والبحث والمناقشة، وكان الكاتب أو الحبر، يجلس على منصة مرتفعة، وحوله تلاميذه يجلسون على الأرض. أما فى أورشليم، فكانت المحاضرات تلقى فى الهيكل، على أن المجمع، كان الأداة الهامة لنشر الدعوة، وتفسير الأسفار المقدسة، وكان يقوم به الكاتب إذا كان حاضراً.

– لقد كان فى عصر المسيح، أكثرية المعلمين والكتبة من طائفة الفريسيين، ويبدو أنهم بدأوا متحررين فى الدين، أرادوا أن يقدموا للناس عن طريق الاجتهاد، تأويلاً جديداً للناموس، يوائم حاجات عصر جديد ومطالبه.

● أعتقد أن الفريسى، قد زعم أنه صاحب الحق المطلق فى تأويل الناموس، وزعم أنه إذا أطاع الشعب الناموس كله ولو يوماً ما، فإن المسيا لا يبطئ فى مجيئه، واقتنع فى دخيلة نفسه، أن طاعة الناموس، هى إرادة الله ورجاء الشعب. لقد أحصى الفريسى أحكام الناموس وفرائضه، فإذا بها تقفز من عشر وصايا، إلى ٦١٣ حكما، كلها مستنبطة من الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس. ولم تكن كثرة هذا العدد خاتمة المطاف، فكثير من الوصايا والأحكام لم يكن صريحاً واضحاً، وكان لزاماً على الفريسى، أن يجتهد فى تطبيق كل وصية، على مجريات الحياة اليومية، فأضاف إلى كل منها، وصايا فرعية لاتقع تحت حصر، وأمر بطاعة هذه أيضاً.

أعتقد أنك تريد مثلاً لوصايا وأحكام لم تكن صريحة واضحة.

● هذا صحيح.

– وصية السبت مثلاً، «أذكر يوم السبت لتقدسه» هذه الوصية، كانت تعنى الإنقطاع عن العمل يوم السبت. ولكن ما هو العمل؟ إلى أى مسافة ليحسب هذا عملاً؟

● نصف ميل فقط.

– وكم رسالة يباح لك أن تكتب يوم السبت؟

- قرروا أن رسالة واحدة لاتحسب عملاً، ومازاد على ذلك فهو عمل غير مباح.
- خياطة غرزة واحدة ليست عملاً.
- أما الغرزتان فهما عمل محظور، يقع تحت طائلة عقاب الناموس.
- كم عقدة تربط؟
- قالوا إن العقدة إذا ربطتها يد واحدة ليست عملاً.
- ولكن استعمال اليدين معاً، عمل ممنوع يوم السبت.
- ما قولهم فى البيضة التى تضعها الدجاجة يوم السبت.. هل يحل أكلها؟
- انقسم الرأى فى هذا الأمر، فقال الفريسيون المحافظون إنه لايحل أكلها، أما الأحرار فأباحوا أكلها.
- وقس على هذا... وبالطبع هذا التزمت الشديد والكبرياء والعجرفة.
- جعل يسوع يدعو الفريسيين قادة عميانا، يضعون على كواهل الشعب أثقالاً تنوء بها الظهور.
- لقد قال الرب عنهم: «أنتم الآن أيها الفريسيون، تنقون خارج الكأس والقصعة، وأما بطنكم فمملوء اختطافا وخبثاً».
- كما قال: «ويل لكم أيها الفريسيون، لأنكم تعشرون النعنع والسذاب وكل بقل، وتتجاوزون عن الحق ومحبة الله» كما قال أيضا: «ويل لكم أيها الفريسيون، لأنكم تحبون المجلس الأول فى المجامع، والتحيات فى الأسواق». كما قال رب المجد: «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، لأنكم مثل القبور المختفية، والذين يمشون عليها لايعلمون».

● لقد قال السيد المسيح عن الناموسيين.

«ويل لكم أنتم أيها الناموسيون، لأنكم تحملون الناس أحمالاً عسرة الحمل، وأنتم لاتمسون الأحمال بإحدى أصابعكم». كما قال أيضاً: «ويل لكم لأنكم تبنون قبور الأنبياء، وأباؤكم قتلوهم. إذا تشهدون وترضون بأعمال أبائكم. لأنهم هم قتلوهم، وأنتم تبنون قبورهم. لذلك أيضاً قالت حكمة الله، إنى أرسل إليهم أنبياء ورسلاً. فيقتلون منهم ويطردون، لكى يطلب من هذا الجيل، دم جميع الأنبياء المهرق، منذ إنشاء العالم. من دم هابيل إلى دم زكريا، الذى أهلك بين المذبح والبيت. نعم أقول لكم إنه يطلب من هذا الجيل. ويل لكم أيها الناموسيون، لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة، ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم».

– ومع هذا لاننسى ما قاله لهم الرب «على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولايفعلون».

● ترى هل نكتفى بما قدمنا، عن هذه الطوائف الثلاثة، الفريسيين والصدوقيين والكتبة، حتى يتسنى لنا تقديم بعض الشخصيات المؤثرة فى عصر المسيح وحياته؟

[٤] شخصيات لها تاريخ

هيرودس الكبير

● من هو هيرودس الكبير ملك اليهود؟

– هيرودس الكبير ولد سنة ٧٣ ق.م.، وحكم البلاد من سنة ٤٠ ق.م. إلى سنة ٤ ق.م. كان أخبث وحش غدار. لم يكن يهوديا بجنسيته ولا يونانياً ولا رومانياً، بل كان آدومياً بربرياً. قضى حياته ساجداً على أقدام الرومانيين متذبذبا أمام اليونانيين لكى يتمكن من تأييد سلطته على اليهود.

● لقد ورث الغدر والخيانة من عهد أبيه، فغدر برئيسه واغتصب المملكة من آخر حكام العصمونيين التعساء.

– والعصمانيون يقصد بهم رؤساء الكهنة والأمراء الذين حكموا اليهود مدة ١٣٠ سنة من سنة ١٥٣ ق.م. عندما كان يوناثان بن ماتاثياس أو عصمونيوس منتخباً لرئاسة الكهنة أيام هيرودس.

● كى يجعل هيرودس عمله شرعياً تزوج من إبنة أخيهم (مريمن) حفيدة رئيس الكهنة السابق هركانوس الثانى وبعد ذلك قتلها ظلماً لظن باطل لا أساس له فى سنة ٢٩ ق.م.

– ولم تكن هذه أول جريمة اقترفها هذا الغدار، فإنه كان قد أمر قبلاً بقتل صهره أريستوبولس غرقاً، ومن ضحاياه إبنا حميه يوسف وهيروكانوس الثانى وهما آخر من تبقى من السلالة المنقرضة. ومع الأسف لم يكفه أنه قتل امرأته مريمن، بل عاد فقتل أمه الكسندرة. كما أمر بحرق يهوذا سارافوس ومتى مرغولوش وغيرهما من زعماء الفريسيين لكى يمتع

همجيته برؤيتهم يحترقون وهم أحياء. وقد بلغت شروره، أنه بعد أن فرغ من كل ذلك، خاف أن أبناءه من مريمن إمرأته الأولى ينقلبون عليه فيما بعد فيثأرون منه، لأنه قتل أمهم، فأمر بخنقهم فى الحال فخنقوا. ومن الغريب وهو على فراش الموت، أمر بقتل إبنه الثالث أرخلاوس.

- لقد كان غداراً ظناناً مرتاباً بكل إنسان، فاسقا طماعاً عابداً للفضة، متمسكاً بأذيال الشهرة الباطلة.

- لذلك لم تذق روحه طعم الراحة والسلام، لا فى قلبه ولا فى مملكته.

- لقد قدم للشعب الرومانى، هدية مالية ثلاثمائة وزنة، لكى ينفقوها فى الأعياد. واهماً بأنه يستطيع بذلك، أن يخفي آثار شروره ومذابحه، التى كم أجرى فيها من الدماء البريئة. كم حاول أن يتظاهر بالذلة والخضوع أمام أوغسطس، لكى يجعله صديقاً له وشريكاً فى فجوره.

وعندما توفى ترك له عشرة آلاف درهم، ومركبة من الذهب ومركبة من الفضة.

- لقد بذل هذا المغتصب جهده، لكى يوفق بين اليهود واليونانيين، فتوفق مع اليونانيين بأن رشا الأردياء المنحدرين من نسل سقراط، وجعلهم يقيمون له تمثالاً فى مدينة أثينا. ولكن اليهود كانوا يبغضونهم بغضهم للموت. وظلوا كذلك حتى وفاته.

- لقد بنى لليهود مدينة السامرة، وجدد لهم هيكل أورشليم، غير أن ذلك لم يكن إلا ليزيدهم بغضاً واحتقاراً له، لأنهم ينظرون إليه دائماً، نظرتهم إلى كافر زنديق، قد اغتصب مملكتهم، وخرق حرمة ديانتهم.

- كان يؤمن بالخرافات، لذلك كان يصدق أقوال العرافين والمشعوذين، ويعتمد تدجيلهم فى كثير من أعماله، ولذلك لم يتردد فى تصديق ما رواه المجوس، من أنهم رأوا نجماً عظيماً فى بلادهم، استدلوا منه على ولادة طفل عظيم، سيكون ملكاً على البلاد التى أغتصبها ظلماً وعدواناً. سمع هيرودس بذلك، فهلع قلبه خوفاً على عرشه. وعندما رأى أن المجوس المنجمين سخروا به، ولم يعودوا ليخبروه عن الموضع الذى ولد فيه الصبى ابن داوود، أمر للحال بقتل كل أطفال بيت لحم، من ابن سنتين فما دون، وكان عددهم ١٤٤ ألف طفل.

- على كل إلى جانب إعادته بناء مدينة السامرة، التى أسماها سباسطة تكريماً لاسم الإمبراطور، فقد شيد برج ستراتو على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، وزوده بمرفأ صناعى فخم، وأسماه قيصرية تكريماً لقيصر رومية، كما أنشأ الكثير من المستعمرات للاستيطان والحصون والقلاع، كما شيد فى أورشليم لنفسه قصراً فاخراً، كما أعاد قلعة أنطونيا تكريماً لاسم أنطونى القائد الرومانى- وبالطبع كان أعظم مشروعاته البنائية، إعادة بناء هيكل اليهود طمعاً فى اكتساب مرضاتهم، ولكنه لم يقدر لأنهم لم ينسوا أنه أدومي النسب، لم يتورع عن بناء الهياكل الوثنية للآلهة، كما قضى على أسرة رئيس الكهنة.

- ما أكثر الشجار والخلاف الذى نشب بين زوجاته وذوى قرباه، وبين أبناء زوجاته الكثيرات، فمثلاً ولداه الإسكندر وأرستوبولس من زوجته مريانا، ذهبا إلى رومية، وهناك اعترف لهما بالوراثة على العرش. ورحب اليهود بهذا الاعتراف، وذلك بسبب نسبهما إلى أسرة رئيس الكهنة من ناحية

أمهما. ولكن هذا المركز الممتاز، أثار حفيظة إخوتهم لأبيهم، فحاك لهما أخوهما الأكبر (أنتيباتر) الدسائس والمؤامرات، وأوهم والده بأنهما يتآمران ضده فحكم عليهما بالموت. ومع ذلك لم ينج أنتيباتر نفسه، فقد لقى هو نفس المصير بعد ثلاث سنوات، وأعدم قبل موت أبيه هيرودس بأيام قليلة.

- لقد كان مصاباً بالوساوس والهواجس، والشك، فأية إشاعة عن ملك يهودى منافس كانت تثير مخاوفه، لذلك لم يذكر له التاريخ إصلاحاته وخلد اسمه مقترناً بأبشع الجرائم.

- لقد أوصى بملكه لثلاثة من أبنائه وقد أقر أوغسطوس قيصر هذه الوصية. فإبنه أرخيلاوس أوصى له باليهودية والسامرة، وابنه أنتيباس أوصى له بالجليل وبيريه، وفيلبس أوصى له بالمناطق الشمالية الشرقية.

- ياليتنا نعرف المزيد عن أرخيلاوس الذى حكم اليهودية من سنة ٤ ق.م. إلى سنة ٦ ب.م.

لقد كان الإبن الأكبر لهيرودس من زوجته السامرية (مالثيس) وذاعت شهرته على أنه أسوأ أبناء هيرودس وأكثرهم فجوراً وإثماً، فلقد أثار من جديد الحساسية الدينية اليهودية، بأن تزوج من أرملة أخيه لأبيه الإسكندر، الذى أبغضه اليهود، وانتهج سياسة أبيه فى التشييد والبناء، ولكن مظالمه واستبداده فى الحكم أصبحت لاتطاق، وما أن توجه وفد من وجوه اليهودية والسامرة إلى رومية، وقدموا إنذاراً للإمبراطور وتوعدوه بالثورة، ما لم يقصى هذا المستبد أرخيلاوس عن الحكم. فقرر الإمبراطور عزله ونفيه، وأصبحت اليهودية ولاية رومانية، يحكمها وال من قبل الإمبراطور.

- وماذا عن هيرودس رئيس الربع (إنتيباس) ؟

- كان الإبن الأصغر لهيرودس الكبير، من زوجته السامرية (ماليثس)، ورث عن أبيه حكم الجليل وبيريه- كما سبق أن قلنا- وهو الذى سجن يوحنا المعمدان، وقطع رأسه وقدمها على طبق هدية لسالومى الخليعة إبنة زوجته هيروديا، وهو أيضا الذى وقف أمامه المسيح، يوم أرسله بيلاطس إليه لمحاكمته باعتباره جليليا من رعايا ملكه. لقد نعته يسوع يوما بالثعلب. لقد كان من أكفأ وأقدر أبناء هيرودس. فهو الذى أنشأ مدينة طبرية على ضفاف بحر الجليل، تكريماً للإمبراطور طيباريوس، كما تزوج من إبنة أرتياس الرابع ملك العرب النبطيين، ولكنه طلقها ليتزوج من هيروديا زوجة فيلبس أخيه لأبيه، وبالطبع لم يعجب ذلك يوحنا المعمدان، فغضب عليه وفضحه أمام شعبه، معتبراً هذا الزواج الثانى، غير شرعى ومجاف للأخلاق.

• على كل هزمت جيوش أنتيباس ٣٦ ب.م. هزيمة منكرة، واعتبرها المؤرخون أنها كانت الجزاء العادل والعقاب الصارم، عن جريمة قتل يوحنا المعمدان.

- المهم أنه فى عام ٣٩ ب.م.، وصل إلى الحاكم الرومانى وشاية من ابن أخيه أغريباس، وأقنع الإمبراطور بأنه يدبر مؤامرة ضد رومية، فقرر عزله، وانتهت حياته فى المنفى.

• أستأذنك يا أبانا المبارك، أن نعرف من هو هيرودس الملك المعروف باسم (أغريباس).

- كان إبنا لأرستوبولس، وحفيداً لهيرودس الكبير، وبعد قتل أبيه بيد جنده سنة ٢٧م، حمل الصبى إلى رومية ليبقى فى كنف الأسرة المالكة هناك،

ولكن فى سنة ٣٣ ب.م.، بات مثقلاً، بالديون، وإضطر لمغادرة رومية عائداً إلى وطنه. وفى طبرية وجد المأوى والعناية عند عمه أنتيباس، بتأثير زوجته هيروديا وهى أخت أغريباس، ولكن سرعان ما تشاجر مع عمه أنتيباس، وعاد إلى رومية سنة ٣٦ ب.م. وهناك أساء الإمبراطور طيباريوس فألقاه فى السجن، وبعد موته فى السنة التالية أطلق سراحه الإمبراطور الجديد (كاليغولا)، ومنحه لقب ملك، وأقطعه مناطق فى شمال شرق فلسطين، وبعد نفى أنتيباس سنة ٣٩ ب.م.، أضيف الجليل وبيريه إلى مملكة أغريباس. ولما جلس كلوديوس على العرش سنة ٤١ ب.م.، أضاف إلى مملكة أغريباس اليهودية والسامرة. ومن هذا يتضح، أن أغريباس قد جلس على عرش مملكة، تعادل فى سعتها وامتدادها، ملك جده هيرودس الكبير.

- على كل اكتسب رضاء رعاياه من اليهود، بفضل إنتمائه إلى أسرة رئيس الكهنة عن طريق جدته مريانا. ولو تتبعنا أعماله.

- لوجدنا أنه هو الذى قتل يعقوب أخا يوحنا بالسيف، وقبض على بطرس وألقاه فى السجن استرضاء لليهود- على كل لقد مات فجأة عن ٥٤ سنة، وخلف وراءه ولدا واحدا وابنتان هم (أغريباس- برنيكى- دروسلا)، التى أصبحت فيما بعد الزوجة الثالثة للوالى فيلكس، أما ولده أغريباس الثانى فقد حكم بعده، وقد وقف أمامه بولس الرسول، وراح يحاجه حتى قال له ساخراً بقليل تقنعنى أن أصير مسيحيا.

- أستأذنك يا أبانا العزيز، أن نكتفى بما قدمته عن حياة هيرودس، التى سوف يجد فيها شباب جيلنا بغيته، من تاريخه وبعض أفراد أسرته.

- وحتى ننتقل إلى الشخصية الثانية وهى بيلاطس البنطى.

بيلاطس البنطى

- من هو بيلاطس البنطى يا أبانا؟

- رومانى من الطبقة المتوسطة، عين والياً على اليهودية، فى عهد طيباريوس قيصر. وكان خامس الولاة الذين تولوا السلطة اليهودية. وقد تم تعيينه فى السنة الثانية عشر من حكم طيباريوس.

- أى فى زمن ظهور يوحنا المعمدان، وظل فى الحكم عشرة أعوام، لقد قيل إن الفضل فى تعيينه، يرجع إلى زوجته «كلوديا بروكلولا» حيث تربطها بالعرش الرومانى صلة قرابة. فقد كانت حفيدة أوغسطس قيصر.

- الحقيقة أن الفضل فى تعيينه، يرجع إلى سيجانوس مستشار طيباريوس قيصر، الذى أقنع الإمبراطور أن يعينه والياً على اليهود، وأن يسمح له باصطحاب زوجته إلى مقر عمله، ولم يكن هذا مصرحاً به لولاة الرومان.

- لقد كان بيلاطس كافراً ملحداً لايؤمن بشئ، ولكن لكونه مداهناً، فكان من الضرورى أن ينحنى إلى آلهة الرومان لذلك منحه الإمبراطور سلطة الحكم بالموت على المجرمين، وحفظ النظام بالولاية، التى شملت اليهودية والسامرة معاً.

- كان بيلاطس الوالى يقيم فى قصر هيرودس بقيصرية، على أنه فى الأعياد والمواسم، كان ينتقل إلى أورشليم ويحتل قصر هيرودس. لقد كان تحت أمره -كوال- قوة من الجند لحفظ النظام وتوطيد الأمن، قوامها ٣٠٠٠ فى قيصرية و٥٠٠ فى أورشليم.

كما كان مخولاً له السلطة القضائية العليا، إلا فى حالة المواطنين الذين كانوا يتمتعون بالرعوية الرومانية، فهم وحدهم الذين لهم الحق، فى رفع الاستئناف عن الأحكام التى تصدر ضدهم، إلى الإمبراطور فى رومية.

- لقد كان من سلطة الوالى بيلاطس، أن يعين رؤساء الكهنة، ويراقب الهيكل وكل أمواله، بل كانت الملابس الكهنوتية فى عهدته، ويعطيها لرئيس الكهنة فى الأعياد، ويستردها منه لحفظها. كما كان مسئولاً عن جمع الضرائب لخزانة الإمبراطورية، كما أبغض اليهود، واستخدم حقه فى الحكم بالإعدام على هواه، وكان ينتقل من ولايته فى مظاهر الأبهة والعظمة، مصحوباً بالجنود الذين كانوا يعملون ضرباً وقتلاً فى الجماهير.

– لم يغب عن بيلاطس، ما أفهمته إياه الحكومة المركزية فى روما، قبل مغادرته البلاد، بأن سياسة روما نحو هذه البقعة المضطربة من أملاكها، تهدف إلى التهدئة وعدم إثارة الشغب. لذلك منعت شعب الولاية من اليهود من الانخراط فى سلك الجندية وكانت فلسطين الولاية الوحيدة، التى نعمت بهذا الامتياز، كذلك لم يكن مصرحاً قانونياً، استدعاء أى يهودى إلى المحاكم يوم السبت. كما كان محظوراً على الجنود الرومان، أن يحملوا صور الإمبراطور، أو يسيروا بها فى الطرقات. كما كانت تصك نقود رومانية خاصة لفلسطين، تحمل رموزاً عامة، لا صور القياصرة التى كانت تحفر على عملات الإمبراطورية ونقودها.

- ماذا عن زوجة بيلاطس كلوديا؟

– لقد كانت طموحا وأقامت حفلات ساهرة صاخبة، فى قصور الوالى فى قيصرية والقدس والسامرة، كما كانت من هواة الخرافات فى الأمور

الدينية- لقد عبدت الآلهة الكثيرة، ومن بينها الإمبراطور المقدس طيباريوس نفسه، ولكنها خشيت أن تتعرض للأديان الأخرى ومنها دين اليهود. وهذا الإحساس هو الذى قادها إلى الاهتمام بأمر يسوع، عندما سمعت أن اليهود يحاكمونه لقوله عن نفسه إنه ابن الله، فأرسلت رسالتها الخاصة إلى زوجها أثناء المحاكمة، قائلة إياك وهذا البار، فقد تألمت فى حلم من أجله.

- أما بيلاطس فلم تمض فترة قصيرة على ولايته، حتى أحس أن الملك هيرودس أنتيباس ملك الجليل يضمر له الشر، لأن هذا الوالى بحكم منصبه، كان يتصور أنه الحاكم الفعلى، وأن الملك ما هو إلا منصب شرفى. المهم أنه احتدم الخلاف بين الرجلين، وكان لدى بيلاطس أمل. أن يحاول هيرودس إصلاح ذات البين بينهما، ولكن عجرفة هيرودس وغروره إلى جانب أن عاهل روما كان يستخدمه كجاسوس، يستقى منه الأنباء عن التصرفات الخاطئة لبيلاطس ويبلغها للقيصر، جعلت هيرودس متشددا معه.

- هل تدرى لماذا إستمر بيلاطس فى عناده وإذلاله لليهود؟

- كم يسعدنا يا أبانا أن تعطينا مثلا لعناد هذا الطاغية؟

- لقد كان أهل أورشليم يستقون الماء مدة قرون، من نبع العذراء وبركة سلوام، وكانت المياه تنقص فى النبعين خلال أشهر الصيف، ولكن اليهود الفوا هذا الجفاف وقبلوه، ولم يرتضوا أن يدفعوا شيئاً مقابل كميات إضافية من الماء. لم يمض على بيلاطس أكثر من سنتين فى الحكم، حتى قرر جلب مياه إضافية للمدينة، بدون استشارة الشعب ورؤساء الكهنة ومجلس

السنهدريم. لقد أمر مهندسيه أن يبنوا خزاناً من الحجر، بين برك سليمان خارج أسوار أورشليم، لهذا احتج اليهود، وكعادتهم أقاموا المظاهرات فى الفناء الخارجي للهيكل. وإمعاناً فى احتقارهم ونكايتهم، أمر بيلاطس أن تؤخذ نفقات بناء هذا الخزان، من خزينة الهيكل وأموال القربان. وسرت الإشاعة بين الناس، فاستشاطوا غيظاً، وأعدوا فى عيد الفصح، مظاهرة صاخبة ضد بيلاطس. أما هو فقد قرر إخماد المظاهرة بالقوة والعنف، فجعل جنده يتخفون فى ثياب يهودية، ويندسون بين المتظاهرين فى فناء اليهكل. ولما بدأ اليهود مظاهرتهم بالسير نحو قلعة أنطونيا، والقرع على صدورهم، والبكاء والعويل أخرج الجنود الرومان المتخفون خناجرهم وعصييهم وسياطهم من بين طيات ثيابهم وضربوا اليهود ضربا وحشياً موجعاً، مما أدى إلى قتل الكثيرين منهم فى فناء الهيكل.

- لقد علم بيلاطس، أن الذين قتلوا من اليهود، لم يكونوا من أهالى أورشليم، بل كانوا حجاجاً قدموا من مملكة هيرودس فى الجليل وكان هذا اعتداءً صارخاً من بيلاطس على ملك الجليل.

وأبى بيلاطس الوالى الرومانى الاعتراف بالخطأ، فزادت الجفوة بين الطرفين، واشتعلت الخصومة عداوة. غير أنه أراد أن يسترضى خصمه، فأرسل يسوع إلى هيرودس بعد أن علم أنه من الجليل.

- على كل يوم قدم بيلاطس إلى ولايته، كان قيافا رئيسا للكهنة، ولاقاه متأنقاً فى ملبسه، مقدماً إحترامه وخضوعه له، فأبقاه فى وظيفته.

- وهذا سوف نعود إليه عند سرد سيرة قيافا.

- باعتباره أول مسئول عن صلب المسيح فى محاكمته.

- لقد تمادى بيلاطس فى عدائه لليهود، وأمعن فى إضطهادهم، حتى لقد ذبح فى يوم عدداً من السامريين، لذلك قام وفد منهم وقدموا احتجاجاً إلى فتليوس الذى كان حاكماً فى سوريا، وكان بيلاطس مسئولاً أمامه، فأمره أن يفند التهم أمام الإمبراطور فى روما، وقرر تعيين مارسيلوس والياً على اليهودية خلفاً له.

- وفى طريق رحلته إلى روما، مات طيباريوس قيصر، وفى حكم الإمبراطور غايس، إضطر بيلاطس إلى أن ينتحر.

- على كل لقد أجمع المؤرخون، أن بيلاطس كان قاسياً بطبيعته.

- بل كان فظاً وعنيداً وغضوباً وحقوداً ومرتشياً وعنيفاً وسافكاً للدماء.

- وماذا كان حكم الإنجيل عليه؟

- كان رجلاً ضعيفاً خائر العزيمة، آثر الحكم على المسيح بالصلب، وانصاع إلى رغبات رؤساء اليهود. بلا جدال كان خوفه من غضب الإمبراطور عليه، أكثر من مراضاة السلطات اليهودية التى احتقرها ويتبين ذلك من سخريته باليهود، عندما كتب العنوان الذى علقه على رأس السيدالمسيح، وهو ذاهب إلى الجلجثة «ملك اليهود».

- أستأذنك يا أبانا العزيز، أن تكون الشخصية الثالثة التى نتطرق إليها، هى قيافا رئيس الكهنة، الذى عاش محاكمة المسيح.

قيافا رئيس الكهنة

- قيافا كان فرداً من الأسرة الأرستقراطية فى أورشليم، وكان قد تزوج إبنة حنان رئيس الكهنة السابق، وكان سلف الوالي بيلاطس، وهو الذى عينه رئيسا للكهنة، ثم عزله خلف بيلاطس المدعو فيتليوس عام ٣٧ بعد الميلاد.

● لذلك يمكن القول إنه قد شغل هذه الوظيفة مدة خدمة المسيح كلها.

- على كل كان قيافا الحارس على سلامة الدين اليهودى، وتوطيد سلطان الناموس وصيانته من التعقيد الفريسى، كما اعتصم بالناموس كما جاء فى الأسفار الخمسة الأولى دون شرح أو إجتهاد. كما كان ممثلاً لعبادة الله فى الهيكل، مثل تقديم ذبيحة الكفارة، وغفران الخطايا، ورحمة الله.

● كما عنى بمحبة الله كما تمثلت فى تقديم الذبيحة، وهو وحده الذى كان مصرحاً له بإجراء طقوس يوم الكفارة.

- على كل لقد كان ما يبغيه قيافا، البقاء فى وظيفته كرئيس كهنة، لذلك حرص على التشبث بإبقاء الحالة روحياً واقتصادياً فى الهيكل كما هى. وبالطبع لم يغفل ما كان يحدث فى العهد القديم، من حيث وظيفة رئيس الكهنة التى كانت مدى الحياة، ولايقدر أحد أن يعزله منها إلا الموت. أما فى حكم هيرودس وتحت النير الرومانى الحديدى فكان رؤساء الكهنة، أدوات سياسية طيعة، قابلة للعزل بدون رحمة من سادتهم الحكام، عند حدوث أى اضطراب فى الهيكل وتعيين بدلاً منه.

● لقد كان قيافا الخامس عشر فى سلسلة رؤساء الكهنة، وكان هو آخر من يشغل الوظيفة من أسرة حنان، فإن تعيين بدله، يقتضى إحلال أسرة

كهنوتية جديدة، وبذلك تفقد الأسرة كلها، الغنائم التى كانت تجرها عليها، صرافة أموال الهيكل، وأرباح الباعة والتجار.

- على كل لقد كان قيافا بحكم وظيفته كرئيس كهنة، شخصاً عالمياً مادياً إلى أبعد الحدود، وهذا يوضحه أنه لم ير فى المسيح يوم وقف أمامه، سوى أنه مارق مجدف.

- لقد مزق ثيابه قائلاً عن المسيح قد جدف ما حاجتنا بعد إلى شهود.

- لقد عاش قيافا محاكمة المسيح، بعيداً عن العدالة وسلامة الإجراءات القانونية، بل هو الذى حاول إرهاب بيلاطس، وهو الذى شحن الغوغاء ضد الوالى الرومانى، الذى لم يجد علة واحدة فى المتهم الماثل أمامه وهو المسيح. وأعتقد أن قيافا هذا، كان أول مسئول عن صلب المسيح فى أدوار المحاكمة.

- كما كان أول مسئول عن إضطهاد المسيحيين فى أورشليم، فى بداية العصر الذى ظهرت فيه الدعوة المسيحية.

- ونكتفى بهذا القدر من الحوار عن الشخصيات الثلاث هيرودس الكبير وبيلاطس البنطى وقيافا رئيس الكهنة باعتبارهم شخصيات مؤثرة فى عصر المسيح.

- وحتى يتسنى لنا متابعة الحوار عن العذراء مريم «أم المخلص»

[٥] العذراء مريم
«أم المخلص»

- العذراء مريم، اختارها الرب من بين كل نساء العالم، كي يتجسد منها لأنها كانت عظيمة بفضائلها، فحق لها أن تكون الإناء المقدس، الذى اختاره الرب للحلول فيه.

• لذلك يا أبانا العزيز، أن تكون حياة العذراء مريم، موضوع حوارنا منذ ولادتها وحتى نياحتها ولنبدأ بميلادها.

- كان (يواقيم) رجلاً غنياً، وكانت زوجته حنة امرأة عاقراً. وكانا تقيين فطلبا من الله أن يرزقهما نسلاً. وظلت حنة تلحف فى الرجاء بدموع غزيرة، أن يهبها الله ذكراً أو أنثى، ووعدت أن تكرس المولود لخدمة الهيكل. وذات يوم، ظهر لها ملاك الرب جبرائيل، وزف إليها البشرى بأن الله قد استجاب لصلاتها، وأنها ستحمل وتلد إبنة مباركة تطوبها جميع الأجيال. واختفى الملاك تاركاً حنة إلى زوجها يواقيم، الذى كان يقيم فى خيمة منذ أربعين يوماً يصلى ويصوم، كى ينقذه الله من مذلته. وطلب إليه الملاك أن يقوم ويمضى إلى زوجته المباركة حنة. وعرفه أنها ستحمل وتلد إبنة عذراء ستسمى «مريم» ومنها يخرج خلاص العالم.

• عاد يواقيم إلى بيته، فاستقبلته زوجته حنة بلهفة، وقصت عليه ما كان من الملاك جبرائيل. فأخذ يواقيم قربانة ومضى مع زوجته إلى الهيكل. وعاد مع زوجته إلى بيته فرحين مسرورين.

- وحملت حنة وقضت كل أيام حملها فى صوم وصلاة وتسبيح، حتى

ولدت العذراء الطاهرة وأطلقت عليها اسم «مريم». ورباها والدها حتى بلغت عامها الثالث، وعندئذ قدماها إلى هيكل الرب وفاءً للنذر، كي تشب فى رحاب بيت الله بين العذارى من خادمات الهيكل.

- يا ليتك يا أبانا تحدثنا عن ملامح طفولة العذراء مريم؟

– لقد كانت مريم تجمع الفقراء كل يوم، وتقدم لهم طعامها الذى يرسل إليها من بيت أبيها، دون أن تتناول منه شيئاً. وحار الكهنة فى أمرها، وتساءلوا فيما بينهم إن كانت تتبرع بكل أكلها للمحرومين، فكيف كانت تعيش؟

- لقد تجلت الحقيقة بوضوح، حين رأوا نوراً ساطعاً يغمر مخدعها، وملاك الرب يقدم لمريم طعاماً سمائياً.

– المهم عندما أتمت مريم عامها السادس فى الهيكل توفى أبوها، ثم توفيت أمها وهى فى الثامنة. وورثت أموالاً وممتلكات كثيرة، وزعتها على الفقراء والمحرومين وخدام الهيكل. وأقامت بالهيكل مثالاً للوداعة والطهر، حتى بلغت الثانية عشر– وهى السن التى لايحل لها أن تمكث فى الهيكل– إذ قد أدركت سن البلوغ، التى يتقرر فيها مصير عذارى الهيكل، لذلك تشاور رئيس الكهنة (زكريا) مع بقية الكهنة، واتفقوا أن يصلى زكريا لله من أجلها، ملتمساً إرشاد السماء فى تقرير مصيرها.

- لقد ظهر ملاك الرب لزكريا، وطلب منه أن يجمع عدداً من الشيوخ والشبان، ويأخذ عصيهم ويكتب أسماءهم عليها. فيختار الرب من بينهم من يصلح للعذراء مريم. وعمل زكريا بما أمره الملاك، وجمع العصى ودخل بها إلى قدس الأقداس، ورفع صلاته إلى الله. ثم خرج بالعصى وطلب أن يتقدم كل رجل ليأخذ عصاه.

- وكان من بينهم (يوسف) النجار. فلما تقدم يوسف ليأخذ عصاه، انطلقت من العصا حمامة بيضاء، استقرت على رأس يوسف، وبهذه العلامة السمائية، تبين الكهنة المعجزة، وأصبح يوسف الشيخ الذى بلغ قرابة التاسعة والثمانين من عمره، هو المختار من الله.

- ولكى يحل ليوسف أن يأخذ العذراء إلى بيته، كان لابد أن يعقد لهما عقداً رسمياً، ويتزوجا وفقاً للشريعة. واجتمع الكهنة وتلوا صلواتهم، وأتموا عقد زواج رسمى بين يوسف ومريم، وصارا زوجين، وأصبح يحل له أن يأخذ مريم إلى بيته، بعد أن صار رجلها بحسب الشريعة.

- وبالطبع أتم زكريا رئيس الكهنة الزواج بإرشاد الرب وتدبيره، حتى متى حبلت العذراء مريم، وفق عقد الزواج الرسمى، فلا ترجم بحكم الشريعة. لقد قال زكريا ليوسف، فلتأخذ مريم وتحفظها فى بيتك، ولتكن لك شبه زوجة كما قال ملاك الرب، كما أكد له أنها نفس ذكية لم يجد مثلها بين أبناء النذور وعذارى الهيكل. وطلب منه ألا يعصى أمر الرب فيها، وأن يأخذها إلى بيته، فهى وديعة الرب بين يديه.

- لما سمع يوسف هذا القول من زكريا، رفع عينيه إلى السماء وقال: أسألك يا إله أبائنا الأبرار الصديقين، أن تدبر حياتى وفق مشيئتك، ولاتحجب وجهك عنى ولا عن أمتك هذه العذراء التى أعطيتنى»، ثم سجد بين يدى الله أمام الكهنة، وقال هوذا أنا عبد الرب إصنعوا بى ما تريدون، ولتكن مشيئته فى حياتى.

- فأخذ زكريا مريم من يمينها، وسلمها إلى يوسف بعد أن باركها. وتوجه يوسف ومريم إلى بيته فى الناصرة.

- ماذا حدث يا أبانا المبارك، بعد ثلاثين يوماً من مغادرة مريم الهيكل؟

- لقد اجتمع الكهنة يفكرون فى عمل ستار، يستخدم كحجاب على باب مذبح الغفران، واتفقوا على دعوة ثمانى عذارى، طاهرات حكيمات كى يشتركن فى نسج الستار. ولكن الكهنة لم يجدوا فى الهيكل سوى سبع عذارى. فذكرهم أحدهم بمريم، فأرسلوا فى طلبها، وأوضحوا لها طلبهم فرحبت به. فأحضروا لها كل ماتحتاج إليه لعمل الستار، من نسيج الأرجوان وخيوط الذهب. وأخذت مريم النسيج والخيوط، وعادت إلى الناصرة، حيث عكفت أربعة شهور كاملة ساهرة على عملها.

- ماذا حدث فى ٢٩ برمهات، حيث كانت العذراء قد بلغت من السن ثلاثة عشر سنة وإحدى عشر شهراً وأربعة أيام؟

- لقد خرجت مريم من بيتها تحمل جرتها، لتستقى ماءً من العين القريبة، وبينما جلست وحيدة عند العين، إذا صوت ملاك الرب يناديها قائلاً: «سلام لك أيتها الممتلئة نعمة، الرب معك مباركة أنت فى النساء ومباركة ثمرة بطنك». التفتت مريم تبحث عن مصدر الصوت، ولكنها لم تر أحداً، فحملت جرتها وأسرعت عائدة إلى بيتها، وفى أعماقها مزيج من...

- الخوف والرهبة، وجلست وحيدة تستأنف عملها فى غزل ستار الهيكل، وإذا الملاك جبرائيل واقف أمامها، يعيد على مسامعها قوله سلام لك أيتها الممتلئة نعمة. فلما رأته خافت واضطربت.

- فقال لها الملاك: لاتخافى يامريم، لأنك وجدت نعمة عند الله، وها أنت ستحبلين وتلدين إبناً، وتسمينه يسوع.

- سألت مريم الملاك: كيف يكون هذا وأنا لا أعرف رجلاً؟

- فأجابها: الروح القدس يحل عليك، وقوة العلى تظللك، وهذه أليصابات نسيبتك حامل بإبن شيخوختها، فى شهرها السادس، لأنه ليس شئ غير ممكن لدى الله.

- لقد آمنت مريم وقالت مستسلمة، ها أنا أمة الرب، فليكن لى حسب قولك. واختفى الملاك من أمامها. ومضت مريم إلى فراشها. وهناك ركعت تصلى باكية. لقد كان الأمر أكبر من أن تدركه، فتاة صغيرة السن طاهرة القلب والفكر.

- لما رأى ملاك الرب حيرتها، قال لها: الروح القدس يحل عليك، وقوة العلى تظللك، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله. واطمأنت العذراء بإجابة الملاك عن حبلها، الذى من الروح القدس، وأنه لن يتعارض مع احتفاظها ببوكوريتها وبتوليتها.

- لم تغفل العذراء مريم ما قاله الملاك عن أليصابات وحبلها بإبن فى شيخوختها، وأنها فى شهرها السادس. فأسرعت وذهبت لتضع نفسها فى خدمتها. وما أن رأتها أليصابات حتى صرخت قائلة إن مجئ أم ربى إلى، فيه تكريم لى لا أستحقه. وامتلأت من الروح القدس، وتنبأت وارتكض الجنين فى بطنها بابتهاج، واعترفت أليصابات بهذا.

- وقالت: «هوذا حين صار صوت سلامك فى أذنى، ارتكض الجنين بابتهاج فى بطنى». وبدأ يتدفق الكلام الروحى والتسبيح، وقالت أليصابات مباركة أنت فى النساء، ومباركة هى ثمرة بطنك، من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ.

- حقاً كانت زيارة مقدسة وعجيبة، عمل فيها الروح القدس الكثير.

- لقد مكثت العذراء مريم ثلاثة أشهر عند أليصابات. وبعد أن حضرت ميلاد يوحنا المعمدان، عادت إلى بيتها فى الناصرة، وكانت قد ظهرت عليها علامات الحمل، إذ كانت حاملاً لمدة ثلاثة شهور.

- دهش يوسف لما رأى علامات الحمل ظاهرة على العذراء، فهو يعلم أن هذا الحمل ليس منه. إضطرب وارتبك وداخله الشك، وأحس بالتناقض فى مسلك مريم، التى كاشفته برغبتها فى البتولية الدائمة، واحترم رغبتها. وها هى حامل.

- وظل يوسف فى حيرة من أمرها، وكانت الشريعة تبيح له أن يجمع شيوخ المدينة فيحكمون عليها بالموت رجماً. ولكن لأن يوسف كان باراً، ولأجل تقواه وروحانيته لم يشأ لمريم هذا المصير، بأن يشكوها لشيوخ المدينة. وتنازل عما اعتبرته الشريعة أمراً مشروعاً له كزوج.

- وبعد حيرة وتفكير، أراد يوسف أن يخلى سبيل العذراء سراً، ولكن بينما هو غارق فى أفكاره، إذ بملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلاً: «يايوسف بن داوود، لاتخف أن تستبقى مريم امرأتك، لأن الذى سيولد منها هو من الروح القدس، وستلد إبناً وتسميه يسوع، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم».

- ولم يشك يوسف فى قول الملاك وصدق وآمن به، وقام من نومه وعمل ما أمره به الملاك. واستبقى مريم امرأته، وزالت من نفسه الشكوك ولم يعرف يوسف مريم، حتى ولدت الإبن وهى عذراء بكر، ولم يمسها يوسف قبل أن تلد يسوع المسيح، وبالطبع لم يمسها بعد ذلك.

- رغم أنه كان زوجاً رسمياً لمريم- كما سبق أن قلنا- بموجب العقد الرسمي بينهما. لقد كانت مريم مع يوسف كإبنة أو خطيبة لا كزوجة.

- وعالها كل مدة الحمل بحنان الزوج البار. وبينما العذراء حامل في شهرها التاسع، صدر أمر من أغسطس قيصر بإجراء تسجيل لسكان العالم كله، فذهب كل واحد لتسجيل اسمه في مدينته. وذهب يوسف من مدينته الناصرة التي بالجليل، إلى مدينة داود المسماة بيت لحم، كي يسجل اسمه مع مريم خطيبته، التي كانت حبلى من الروح القدس.

- لقد زاملها في رحلتها الشاقة، وهي في أواخر شهرها التاسع، ولابد أن العذراء كابدت من قطع مسافة تزيد عن الثمانين ميلاً، ليصلا إلى القرية التي كانت مقراً لجذهما داوود.

- لقد حدث بعد وصولهما، أن جاء موعد ولادتها، وبسبب الاكتتاب فقد وفد كثيرون على بيت لحم، حتى أنه لم يجد يوسف ومريم موضعاً لهما في بيت أو فندق، ولما شعرت العذراء بقرب وضع الجنين، أخبرت يوسف فأسرع إلى البلدة ليستحضر قابلة لمساعدتها.

- ولما وصلا المغارة ودخلا فيها، وجدا أن العذراء قد ولدت إبنها الحبيب، في المغارة الملحقة بالمنزل كحظيرة الحيوانات. ولد محاطا بالقش، الذي تفرشه وتأكل منه البهائم. وكان يوماً شديد البرد، وكانت قد قمطته وأضجعته في المزود.

- على كل لما حضر يوسف ومعه القابلة سالومي، واقتربت من العذراء ولمستها استعداداً لتوليدها، فيبست يد القابلة فانذهلت، ولكنها إذ لمست الطفل الإلهي عادت يداها سليمتان.

- على كل يا أبانا لقد ظهر ملاك الرب بعد ولادة يسوع للرعاة، وبشرهم بالفرح العظيم بميلاد المخلص وهو المسيح الرب، وظهر لهم مع الملاك، جمهور من جند السماء يسبحون الله، ولما مضت الملائكة، مضى الرعاة إلى بيت لحم ليبصروا المولود. وفى اليوم الثامن اختتن الطفل، وتسمى باسم يسوع كما أمر الملاك جبرائيل.

– وبعد أربعين يوماً أخذته أمه ويوسف، وجاءوا بالطفل إلى الهيكل، والحقيقة أنهم أتوا به إلى الهيكل، وكانت التقدمة الواجبة للمرأة التى تلد إبناً ذكراً، هى كبشا حوليا– ابن سنة– لتقدمه للمحرقة، وحمامة صغيرة أو يمامة لذبيحة الخطيئة. وكانت الشريعة تسمح للذين لا يملكون هذه التقدمات، أن يأتوا بدلاً منها بزوج يمام أو فرخى حمام.

- وبهذه التقدمة الفقيرة، جاءت مريم إلى الكاهن، وفى الوقت ذاته، إذ كان يسوع بكراً فاتح رحم، قدموه للرب.

– لما دخل بالطفل يسوع أبواه، التقوا مع سمعان الشيخ وحنة النبية، فحمله سمعان على ذراعيه، وبارك الله قائلاً: «الآن أطلق ياسيدى عبدك بسلام حسب قولك، لأن عينيا قد أبصرتا خلاصك».

- أما المجوس فقد مضوا إلى هيرودس، فعلم منهم بميلاد المسيح، بناء على ما أنبأهم به زاردشت زعيم المجوسية، الذى قال لهم: «إن بكرا طاهرة تحمل بجنين، هو الكلمة، مقيم السماء، فإذا رأيتم نجمه، فاذهبوا وأسجدوا له، وقدموا له هداياكم، لئلا يصيبكم بلاء عظيم. فلما رأوا النجم الموعود، جاءوا إلى أورشليم، ليسألوا عن المولود ملك اليهود.

- فلما سمع هيرودس اضطرب وكل أورشليم معه، وجمع رؤساء الكهنة وكتبة الشعب، وسألهم: «أين يولد المسيح، فقالوا له فى بيت لحم اليهودية». وعندئذ طلب هيرودس من المجوس أن يذهبوا ويبحثوا بالتدقيق عن الصبى، وسألهم قائلاً إن وجدتموه فأخبرونى لكى أجئ أنا أيضاً وأسجد له، ومضى المجوس من حضرة هيرودس.

- أما النجم الذى كانوا قد رأوه فى المشرق، يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق الموضع الذى كان فيه الصبى، فأتوا إلى البيت ورأوا الصبى مع مريم أمه فخروا وسجدوا له، وقدموا هداياهم ذهبا ولبانا ومراً. ثم إذ أوحى إليهم فى حلم ألا يرجعوا إلى هيرودس، فانصرفوا من طريق أخرى إلى بلادهم.

- أما هيرودس فحين رأى أن المجوس قد سخروا به، استشاط غضباً، وأرسل، فقتل كل الأطفال فى بيت لحم، وفى كل نواحيها من إبن سنتين فأقل وفقاً للزمان الذى تحققه من المجوس.

- ولكن قبل أن يصدر هيرودس قراره بمذبحة بيت لحم، وكان المجوس قد إنصرفوا إلى بلادهم، وفقاً للحلم الذى رأوه.

- إذ ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم، قائلاً: «قم خذ الصبى وأمه وأهرب إلى مصر، وأمكث هناك حتى أقول لك، فإن هيرودس سيبحث عن الصبى ليهلكه. فقام وأخذ الصبى وأمه وانطلق إلى مصر، ومكث هناك حتى موت هيرودس، ليتم ما قاله الرب بفم النبى القائل «من مصر دعوت ابنى».

- بالطبع يا أبانا العزيز المبارك، رحلة العائلة المقدسة إلى مصر، سوف يكون لها نصيب فى حوارنا.

- وكيف لا وقد كان هروب العائلة المقدسة إلى مصر، سبب بركة فى كل مكان حلت به العائلة، وكل مكان وأرض مشى عليها المسيح، كانت تتساقط الأوثان وتتكسر، وهذا كله وغيره الكثير سوف نعود إليه، بعد أن نكمل حوارنا عن العذراء مريم.

- بعد موت هيرودس، ظهر ملاك الرب ليوسف قائلاً قم وخذ الصبى وأمه وإذهب إلى أرض إسرائيل، فقد مات الذين كانوا يبتغون قتل الصبى. فقام وأخذ الصبى وأمه. وعادت العائلة المقدسة، وانصرفت إلى نواحى الجليل، وسكنت فى مدينة الناصرة.

- وكانت العذراء قد بلغت من العمر ثمانية عشر سنة وأربعة شهور وأحد عشر يوماً. وسكنت فى الناصرة مع إبنها الحبيب ويوسف البار، الذى بذل كل جهده فى سبيل راحة المسيح ووالدته. وبرغم شيخوخته، استمر فى عمله كنجار، وانضم إليه المسيح فى هذه المهنة. كما كان يتردد مع المسيح وأمه: على الهيكل فى أورشليم كل سنة فى العيد.

- لما بلغ المسيح الثانية عشر من عمره، ذهب معهما هناك، ووقف وسط المعلمين، يسمعهم ويسألهم، وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه ومن إجاباته.

وبعد إنقضاء أيام العيد، تخلف يسوع فى أورشليم، أما مريم ويوسف فرجعا، وظنا أن يسوع ضمن القافلة، وبعد مسيرة يوم لم يجداه فرجعا إلى أورشليم يبحثان عنه، وبعد ثلاثة أيام وجداه فى الهيكل، جالساً فى حلقة العلماء، يستمع إليهم ويسألهم، فقالت له أمه لماذا فعلت بنا هكذا يابنى؟ فها هوذا أبوك وأنا كنا نبحث عنك معذبين.

- فقال لهما: ولماذا تبحثان عنى ؟ ألا تعلما أننى لابد أن أكون فيما لأبى. ثم جاء إلى الناصرة طائعاً لهما.

لما بلغ السيد المسيح الثلاثين من عمره، وبدأ خدمته الجماهيرية، كان يوسف البار قد تنيح. أما العذراء فقد تبعت إبنها وكانت واقفة عند الصليب. ولما رأى يسوع مرارة نفسها، أوصى الرب تلميذه يوحنا. بأن يعتبر العذراء أماً له، وأوصاها أن تعتبر تلميذه إبناً لها. ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته.

- أقامت العذراء فى بيت يوحنا، وكانت مع التلاميذ فترة الأربعين المقدسة، ما بين القيامة والصعود مواظبة معهم على الصلاة والطلبة، وحضرت يوم العنصرة فى بيت مارمرقس فى العلية.

- فى الموعد الذى حدده الرب لنياحتها، أضاء المكان بنور سمائى، فكانت الساعة الثالثة من النهار، ورائحة البخور ملأت المكان، وإذا برب المجد يسوع، يتبعه جمهور عظيم من رؤساء الملائكة والملائكة، جاءوا من السماء، فأحاطوا بالسيدة العذراء، ومد السيد المسيح يده إلى أمه العذراء، وتسلم روحها المضيئة بيده، أما التلاميذ فلم يحتملوا المنظر، فسقطوا على الأرض، وصعد بعد أن أوصى الرسل، أن يكفنوا الجسد، وأن يدفنوها بإكرام يليق بأم المخلص، ثم صعد الرب يحيط به الملائكة فسجد له التلاميذ.

- ولما أفاق التلاميذ، قاموا بتكفين الجسد، ووضعه فى تابوت، وحملوه إلى الجثمانية.

- وفى الطريق خرج بعض الأشرار من اليهود، الذين عرفوا بخبر نياحة العذراء، فتجمهروا فى مظاهرة ليمنعوا دفنها بإكرام، قاصدين خطف

الجسد ليلقوه على الجبال، ويصير مأكلاً للوحوش ولطيور السماء وبلغت الجرأة بأحدهم ويدعى (ثاوفيتا) فمد يده إلى التابوت، وهنا ضربه ملاك الرب بسيفه، ففصل ذراعى الرجل عن جسمه، فصرخ الرجل وسقط على الأرض من شدة الألم، وكان يبكى نادماً على فعلته، وهو يقول «ويلى أنا الشقى الذى لم يرتدع، أنا هو المفلوج الذى كنت مريضاً لمدة ثمان وثلاثين سنة، وقد شفانى الرب يسوع، ونصحنى بقوله «ها أنت قد برئت فلاتخطئ لئلا يكون لك أشر، ولكنى لم أعمل بوصيته لى. فاطلبوا منه أن يرحمنى» وتحنن الرسل وصلوا من أجله، فعادت ذراعاه صحيحتين، فتراجع مخذولاً.

- وأكمل الرسل مسيرتهم إلى الجثمانية حيث صلوا، ودفنوا الجسد فى القبر، وأغلقوا عليه بإحكام. وكانت تسابيح الملائكة تملأ المكان، وظلت الأمور هكذا مدة ثلاثة أيام، أقام فيها الرسل فى الجثمانية، حتى توقف التسبيح، فعادوا إلى أورشليم.

- وفى طريق عودتهم إلى أورشليم، التقوا بالقديس (توما)، الذى كان قادماً من الهند، فأخبروه بنياحة العذراء ودفنها. فطلب منهم أن يعودوا معه إلى القبر ليرى بنفسه، وينال بركة العذراء، فلما رجعوا وفتحوا القبر لم يجدوا الجسد. وإنما رأوا بخوراً عطراً يصعد من القبر، فتحيروا وظنوا أن الجسد سرق. ولكن القديس توما طمأنهم قائلاً إنه بينما كان قادماً من الهند، رأى بنفسه جسد السيدة العذراء محمولاً على أجنحة الملائكة، وأن أحد الملائكة ناداه باسمه، وعرفه بأن هذا هو جسد السيدة العذراء، فأخذ يصرخ طالباً بركة العذراء، وأن تظهر مسرتها نحوه، وبتصريح من

السماء، سقط زنار العذراء الذى كانت تضبط به ثوبها، فأخذه القديس توما فرحاً- ولازال الزنار محفوظاً فى كنيسة الزنار المقدس بمدينة حمص بسوريا.

- وهكذا كانت مشيئة الرب، أن يرفع جسد العذراء إلى السماء، ليكون محفوظاً فى الفردوس، كما يليق به من كرامة. ولقد كانت أصوات الملائكة التى استمرت حتى اليوم الثالث، كى يبدأوا رحلتهم المباركة بالجسد الطاهر إلى السماء.

- وصلت العذراء إلى السماء بعد أن عاشت بالجسد على الأرض ثمانية وخمسين عاماً وثمانية شهور وستة عشر يوماً. وكانت نياحتها فى اليوم الواحد والعشرين من شهر طوبة وتكريماً لها صارت الكنيسة تعيد بتذكارها فى الحادى والعشرين من شهر طوبة من كل عام.

- تُرى هل نكتفى يا أبانا الحبيب بما قدمنا من ملامح للقديسة العذراء مريم والدة الإله يسوع المسيح؟

- أعتقد أن العذراء «أم المخلص» التى إتسمت حياتها بمحبة الصلاة والاتضاع والصمت، والاحتمال والرزانة والطهارة والعفة ومحبة الخدمة، بعد أن قدمنا حياتها، يجب أن نقدم تلخيصاً لفضائلها، حتى يكون مرجعاً لمحبيها، صغاراً وكباراً، خداماً ووعاظاً.

- معنى ذلك ياقديسنا المعلم المبارك، أننا سوف نستمتع بملخص لحياتها الطاهرة.

- تتميز حياة العذراء، بأنها كانت مثالاً يحتذى، فى الخدمة والبذل والعطاء، فى العفة والطهارة. دخلت الهيكل طفلة سنها ٣ سنوات وظلت به حتى سن الثانية عشر. هذه المدة قضتها فى الصلاة والصوم والخدمة فى الهيكل. عاشت مكرسة تخدم بيت الله، كما عاشت بتولاً فى بيت يوسف النجار طاهرة أثناء الحمل وبعد الولادة وطول حياتها، فلم تنجب أولاداً بعد أن ولدت المسيح الإله المتجسد لخلاص العالم.

- لقد ذهبت إلى أليصابات، وظلت تخدمها ثلاثة شهور بنشاط وفرح.

- لقد احتملت العذراء تعب السفر، وأتعاب خدمة أليصابات، فقطعت مسافة حوالى ١٧٧ كيلو متراً لتهنئها ولتخدمها. وبعد ٣ شهور عادت إلى الناصرة لتواجه بشكوك يوسف فى حبلها، وعندما اقترب ميعاد ولادتها: صدر الأمر بالاكتتاب، وسافرت مسافة ١٤٠ كيلو مترا وسط الجبال حتى وصلت بيت لحم. لقد إحتملت القديسة مريم فى ولادتها، آلام الغربة وآلام الهروب إلى مصر مع إبنها ويوسف هرباً من سيف هيرودس.

- رحلة طويلة وعرة- سنشرحها بالتفصيل فى هروب العائلة المقدسة لمصر.

- لقد ربت العذراء إبنها الحبيب الوحيد، بالحب والحنان والأمومة، ولما كبر بدأ يساعد يوسف النجار فى أعمال النجارة. فى عرس قانا الجليل، خدمت فى الوليمة كعادتها فى خدمة الآخرين ومساعدتهم. لقد طلبت من إبنها فى دالة، أن ينقذ أهل العرس، من فضيحة عدم وجود خمر يقدم للمدعوين، فحول الماء إلى خمر. لقد خدمت العذراء الرب يسوع وتلاميذه، أثناء خدمته وبعد صعوده، حتى تفرقوا للكرازة فى العالم أجمع.

- لقد كانت العذراء إبنة صلاة.

- وعاشت الصلاة عملياً، فكانت ثمرة الصلوات، أن رأت عظمة الله، في نعمة الإلوهية، ممثلة في إبنها الحبيب. لقد استجاب الرب لصلاتها أمام أبواب السجن، الذى كان محبوساً فيه القديس (متياس) الرسول، من أجل الكرازة والبشارة، وبصلاتها تحول الحديد إلى سائل وفك أسر القديس. كما كانت سبباً في إيمان أهل مدينة برطس، بفضل قوة صلاتها ودالتها عند الله.

- لقد تميزت العذراء مريم بفضيلة الصمت.

- فعلاً فهى لم تتكلم عن نفسها، أو عن الكرامة الكبيرة التى خصها بها الله. لقد قبلت البشارة بدون مناقشة وبدون جدال. فلم تتكلم مع يوسف عن البشارة حتى عندما وقع يوسف فريسة للشك ومحاولته أن يخليها سراً، لم تتكلم ولم تدافع عن نفسها. حتى بعد أن رأت الملائكة في ميلاد إبنها الحبيب، وسمعت شهادة المجوس، ونجم الشرق وكل الظهورات والمعجزات، التى صاحبت الميلاد العجيب، فقد احتفظت بصمتها. من المؤكد في رحلة العائلة المقدسة إلى مصر، حدث في طفولة المسيح معجزات كثيرة، لقد إحتفظت بها سراً في أعماقها. حتى بعد قيامة المسيح من الأموات، الذى عاش معها ولازمته ثلاثين عاماً، فقد احتفظت بصمتها.

- كما تميزت بالإتضاع.

لقد كان إتضاع العذراء، أحد الأسباب القوية: التى من أجلها إختارها الله كى يحل فيها، وظهر ذلك حين رضيت أن تضع وليدها في حظيرة البهائم، وأن ينام الطفل الإلهى في مزود، فلم تتذمر أو تتضجر، لقد

قدمت فرخى حمام أو زوج يمام وهى تقدمة الفقير، قدمتها عندما دخل المسيح الهيكل بعد ٤٠ يوماً من ولادته- لقد أطاعت الناموس.. ألم تقدم ذبيحة عن تطهيرها رغم أنها كانت قديسة وطاهرة ونقية؟.. ألم تصعد إلى أورشليم للتطهير؟.. ألم يكن من الإتضاع أنه حين ذهب المسيح إلى الهيكل وعمره ١٢ سنة، أن تقول له هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك، فرغم أنه إبنها وليس ابن يوسف، لكنها قدمت يوسف عن نفسها بتواضع.

- كذلك فى عرس قانا الجليل، لم توجه العذراء الأنظار إلى نفسها، ولا لأهمية شفاعتها ودالتها عند إبنها، ولكن وجهت الخدام لطاعة السيد المسيح.

– لكل هذه الأسباب وغيرها الكثير، سكن الرب فى جسدها وأخذ منها جسداً طاهراً.

- وماذا عن إحتمالها للألم؟

– طفلة قدمت الهيكل حين صارت سنها ٣ سنوات. مات أبوها وهى فى السادسة، وماتت أمها وهى فى الثامنة، فحرمت من الرعاية والاهتمام منذ الصغر، عندما تركت الهيكل لم يكن لها من يعولها، واستقر رأى الكهنة أن تخطب ليوسف الشيخ البار وهو نجار فقير واحتملت وقبلت أن تخدمه، وفى بيته أتت لها البشارة العجيبة، وهى فتاة صغيرة لم يتجاوز عمرها ١٤ سنة. وعندما بدأت كرازة المسيح لم يفارقها الألم.. فما أكثر ما سمعت من آراء المجتمع اليهودى فى إبنها.. ألم يقولوا إنه ببعلزبول يخرج الشياطين، وأن به شيطان، وأنه يضل الشعب.. ألم تسمع بتعرض إبنها للرجم أو القتل؟.. ألم تختبر آلام الحرمان-كأم- من رؤية الرب يسوع؟.. ألم تشارك إبنها فى آلامه وهى عند الصليب؟

- لقد عاشت العذراء مريم حياة الغربة من طفولتها إلى نياحتها.

- بالفعل.. ألم تتغرب عن أبويها وسكنت الهيكل وهى فى سن الثالثة وحتى الثانية عشر؟.. ألم تتغرب عند ولادتها للرب يسوع فى بيت لحم؟.

ألم تتغرب فى رحلتها الطويلة بالطفل يسوع فى مصر، حيث عاشت قرابة الثلاث سنوات أو يزيد، متنقلة من بلدة إلى أخرى؟.. ألم تتذوق العذراء حياة الغربة، أثناء كرازة الرب يسوع وتجواله فى كل بلاد فلسطين؟.

- وبعد صلب إبنها الوحيد، لم يكن لها مكان ولا من يعولها، مما جعل السيد المسيح، يعهد بها إلى تلميذه يوحنا، حيث عاشت متغربة إلى أن انتقلت إلى السماء.

- لقد تجردت العذراء مريم من كل متعة وعاشت مضحية.

- كيف؟

- عندما دخلت لتعيش فى الهيكل منذ طفولتها، ألم توزع أكلها على الفقراء، وبعد وفاة والديها لم تطلب ميراثها، وحين خرجت من الهيكل كانت فقيرة، ولم تجد أحداً يعولها، فأعطيت خطيبة للقديس الشيخ يوسف النجار الفقير. وحين ولدت العذراء إبنها، لم تجد له مكاناً فى المنزل لتضع فيه الطفل غير مزود الأبقار، وحين صعدت الهيكل لتقدم تقدمة التطهير لم يكن معها إلا تقدمة الفقراء، وبعد أن مات يوسف البار، عمل الرب يسوع فى مهنة النجارة إلى أن خرج للكرازة.

- وطبعاً عاشت العذراء حياة الفقر والتجرد خلال تلك الفترة، ولعل أكبر دليل على فقر العذراء، أن المسيح كان يعلم أنه لايوجد لها أحد يعولها، فأودعها عند يوحنا الحبيب عند الصلب.

- لقد اختار الله العذراء مريم، لتكون أما للمسيح بالجسد، اختارها فقيرة ومتواضعة وغير معروفة لكى يعلن فيها عظمة مجده. حقاً لقد كانت غنية بالنعمة والإيمان، تمنح البركات بشفائها لمن يتوسلون إليها. وإن كانت العذراء فقيرة فى عيشتها لكنها تغنى كثيرين، فهى تشفع فى كل من يطلبها، ليعطيه الله حسب سخائه وكرمه وغناه.

- لقد كانت العذراء مريم فى منتهى البساطة.

- حقاً فرغم الروحيات التى تمتعت بها، كانت شخصية وديعة بسيطة هادئة. وهى طفلة فرحت أن تدخل الهيكل، وحين غادرته غادرته ببساطة بدون مجادلة أو مقاومة. حين أتاها الملاك غبريال بالبشرى الإلهية، وأن ابن الله سيأخذ جسداً منها وينزل إلى الأرض، آمنت فى بساطة، أن ابن الله يحل فى أحشائها، ذاك الواحد مع الآب فى الجوهر، ويصير فى داخلها جنيناً. ألم يكن تصديقها أن تلد وهى عذراء إيمان منها فى بساطة؟.

- لقد استسلمت العذراء مريم، فى بساطة لله بلا قيد أو شرط، وقد رضيت أن تتحمل كل مايحدث من معاناة. لقد سافرت إلى بيت لحم لتلد هناك فى أفقر مكان ولم تتذمر، لقد عاشت العذراء عيشة بسيطة، فى بيت متواضع، يعولها نجار فقير، وإبنها الطفل يسوع ينمو فى المنزل فى النعمة والقامة. لقد عاشت تطهى وتنظف وتخدم فى بيتها. لقد عاشت فى بساطة وفقر، ولكن فى داخلها كنز عظيم. لقد عاشت فى مشاركة عامة الناس فى حياتهم اليومية، فى قرية مغمورة هى ناصرة الجليل.

- هذه لمحة من حياة السيدة العذراء مريم كان من الضرورى تقديمها، وبالطبع هناك الكثير الذى لم نذكره عنها فى هذه العجالة.. فلم نذكر

عظمتها: التى تجلت فى اختيار الرب لها من بين كل نساء العالم.. لم نذكر المعجزات التى تمت فى حياتها، واستمرت بعد وفاتها، ومازالت تحدث حتى الآن. لم نذكر ظهوراتها فى الأماكن المتعددة. لم نتطرق لاحتفال الكنيسة بصومها وأعيادها الكثيرة. لم نتطرق إلى ألقابها ورموزها، من حيث عظمتها وصلتها بالله، أو من حيث أمومتها للسيد المسيح.. لم نتطرق إلى أيقونتها أو إلى تطويبها. فهذه كلها وغيرها الكثير والكثير يحتاج إلى كتاب ضخم يحوى آلاف الصفحات، لذلك اكتفينا بتقديم لمحات عن بعض فضائلها التى أهلتها لأن تكون الإناء المقدس، الذى اختاره الرب للحلول فيه.

- والآن بعد أن قدمنا العذراء مريم أم الفضائل «والدة الإله» «أم المخلص» نستطيع بمشيئة الرب، أن نقدم رحلة هروب العائلة المقدسة إلى أرض مصر.. بكل دقائقها وما فيها من إثارة وعجب باعتبارها- فى نظرى- إحدى المداخل الرئيسية لحياة يسوع.

- تقصد تلك الرحلة، التى خرج فيها يوسف النجار كأمر الملاك، ومعه العذراء وعلى ذراعها الرب يسوع ومعهم سالومى. لقد خرجت تلك القافلة المقدسة، من بيت لحم إلى الجليل وبئر سبع.

- أرجوك يا أبانا القديس المبارك، أن نتتبع طريق رحلة الهروب، مما ورد فى الوثائق الدينية والمراجع التاريخية.

[٦] العائلة المقدسة

رحلة الهروب إلى مصر

- خرجت القافلة المقدسة، التى تتكون من يسوع الطفل وأمه ويوسف النجار وسالومى، من بيت لحم إلى الجليل وبئر سبع.

● ما هى أول مدينة وصلوا إليها فى أرض مصر التى عينها لهم الرب؟

- أول مدينة هى (الفرما) بالقرب من بيلوزيوم وتسمى الآن (ثينه) الواقعة بين مدينتى العريش وبورسعيد. وهى تقع على بعد ٣ كيلو مترا شرق بورسعيد.

● ومنها أتوا أولاً إلى مدينة (بسطه) أو بوباستت وهى الآن تل بسطة بالقرب من الزقازيق. وكان بها معبد الإله باست.

- حيث ظهرت أول معجزات المسيح فى أرض مصر، عندما تهاوت تماثيل المعبد، عند دخوله إليه تحمله أمه، ثم تبعتها معجزة شفاء زوجة أقلون، الذى أواهم فى منزله، ليحميهم من بطش ثورة الحاكم، وكانت مشلولة من سبع سنوات. فلما رأت الطفل قامت لتحضنه فزال عنها الشلل.

● ونزلت الرسالة التى تقول «فى مكان بيت أقلوم ستقام كنيسة يخلد فيها اسمك إلى الأبد»، وتوجد مكان البيت حالياً كنيسة العذراء، ومازالت تفتح أبوابها لشعائر الدين كل يوم.

- وهناك أنبع السيد المسيح عين ماء، وبعد أن تهاوت الأصنام، لم يقبل الكهنة وأهل المدينة، إقامة العائلة المقدسة فى مدينتهم، وأساءوا معاملتها، فنزحت إلى إحدى ضواحيها.

- وهناك وجدوا شجرة، فمكثوا عندها أياماً. وغسلت العذراء مريم ملابس المسيح طفلاً وأحمته، فسمى المكان (المحمة)
– هى الآن بلدة (مسطرد). وقد بنيت فيما بعد كنيسة فى هذا المكان باسم العذراء مريم، لاتزال قائمة حتى اليوم، ويقصد إليها الزوار المصريون والأجانب.
- على فكرة لقد رجعت العائلة المقدسة إلى المحمة مرة أخرى فى طريق عودتها إلى فلسطين.
– وظهر ملاك الرب للقافلة، وأمرهم بالهروب خلال حقول القمح فى طريق معوج، حتى بلغوا مدينة بلبيس. وفى بلبيس شجرة استظلت تحتها العائلة المقدسة، ولذلك صارت تسمى بشجرة العذراء مريم، يجلها المسيحيون والمسلمون على السواء، ويدفن المسلمون من حولها أمواتهم الأعزاء تبركاً بهذه الشجرة.
- ويروون أن عسكر نابليون بونابرت، عندما مروا ببلبيس، أرادوا أن يقتطعوا من هذه الشجرة خشباً يطبخون به طعامهم، فلما ضربوها بالفأس أول ضربة، بدأت تدمى، فارتعب العسكر ولم يجرؤا بعد ذلك على أن يمسوها. ويقوم فى هذه البقعة الآن، جامع عثمان بن الحارس الأنصارى فى وسط المدينة، عند ملتقى شارع الأنصارى بشارع البغدادى.
– تركت العائلة المقدسة بلبيس، وذهبوا إلى (منية جناح) ومنها إلى ميت سمنود أو سمنود، وكانت تعرف فى مصر القديمة باسم (ذنب نثر أو هيكل الله)، والمعروف أن الكنيسة الحالية المكرسة باسم القديس (أبانوب) بنيت على أنقاض كنيسة قديمة باسم العذراء مريم، أقيمت على نفس البقعة،

التى أقامت فيها العائلة المقدسة. ويقول المسيحيون فى سمنود، إنه كان فى وقت ما، عند شرقية الكنيسة بئر أنبعه السيد المسيح بنفسه وباركه.

- بعد سمنود، ذهبوا إلى البرلس فالمطلع، ثم عبروا الفرع السبنيتى للنيل إلي الجهة الغربية، حيث (سخا ايوس) وهى سخا الحالية فى مركز كفر الشيخ، وقديماً كانت تسمى (خاست).

- وهناك أثر، قيل إنه حجر من قاعدة عامود، وقف السيد المسيح عليه، فانطبع أثر قدميه على الحجر، فسمى المكان (كعب يسوع) وكان الناس يأتون إليه من الأقاليم البعيدة والبلاد المجاورة ويضعون فى موضع القدم زيتاً، ويحملونه إلى أرضهم، وينتفعون به كثيراً. وقد بنيت فى نفس البقعة، كنيسة باسم العذراء مريم وبجوارها مغطس، ويضم الكنيسة والمغطس دير، ظل عامراً بالرهبان، إلى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى، سمى بدير المغطس.

- ذكره الشيخ المؤتمن أبو المكارم سعد الله بن جرجس بن مسعود، أنه فى جهة منية طانة بالغربية.

- ثم عبرت القافلة المقدسة، فرع رشيد فى مراكب الصيد إلى الضفة الغربية، وساروا منها إلى وادى شيهيت (وادى النطرون)، وكان يحوى مجموعة من المعابد الفرعونية– وهو الوادى الذى تنبأ المسيح، بأنه سيكون كعبة المسيحية، التى يسكنها عدد كبير ممن دخل النور قلوبهم، وصفت سريرتهم ليعبدوا الله.

- وقد تحققت النبوءة، فتحول وادى النطرون إلى مركز من أكبر مراكز المسيحية فى التاريخ، حيث كان به فى القرن الرابع الميلادى، خمسمائة

دير تضم أكثر من خمسين ألف راهب، بقى منها الآن أربعة، أهمها شهرة دير السريان.

- واستمرت إقامة العائلة المقدسة فى وادى النطرون ثلاثة أشهر، إنتقلت بعدها إلى مدينة أُون (عين شمس)- أون الفرعونية. لقد ألقى المسيح بعصاه، فأورقت شجرة البلسم، التى اشتهرت فى عين شمس. وكان حاكم مصر يستولى على عصارتها المقدسة، ويهديها للملوك والأباطرة.

- ثم اتجهوا من عين شمس إلى (المطرية)، فى طريقهم بأمر الرب إلى بابليون (مصر القديمة).

- وكانت المطرية مشهورة فى مصر القديمة بجامعاتها العريقة، واستظلوا تحت شجرة الجميز المقدسة، حيث نامت مريم وفى أحضانها الطفل يسوع. لقد انحنت الشجرة بفروعها، لتخفى يسوع عن أعين جنود هيرودس، الذين مروا فى ذلك الوقت، بالقرب من الشجرة بحثاً عنهم. ولاتزال شجرة الجميز المقدسة، قائمة مكانها وتعرف بشجرة مريم، وتعد من المزارات التذكارية المقدسة.

- لقد أنبع المسيح عين ماء، وشرب منها وباركها، وغسلت فيها العذراء ملابسه، وصبت غسالتها على الأرض، فنبت فى تلك البقعة نبات عطرى ذو رائحة جميلة، هو البلسم أو البلسان.

- ويستخدمونه فى صنع الميرون، وبعد تقديسه بالصلوات، يستعملونه فى تدشين الكنائس ومشتملاتها وفى الطقوس الدينية الأخرى.

- لقد انطلقت القافلة جنوباً، حتى وصلت أسوار بابليون، وأقاموا فى مغارة الكهف المقدس، الذى يقع تحت كنيسة أبى سرجة بمصر القديمة، وهى

كنيسة القديس سرجيوس، ويبلغ طول المغارة عشرين قدماً، وعرضها خمسة عشر قدماً، وليست بها نوافذ، وتعد الكنيسة من أقدم الكنائس التى بنيت فى مصر، وقد تهدمت فيما بعد، فقام بترميمها نحو سنة ١٠٧٣ ابن السرور يوحنا بن يوسف، المعروف بابن الأبح، كاتم سر الخليفة المستنصر الفاطمى(١٠٣٦-١٠٩٤).

- ويبدو أنهم لم يستطيعوا البقاء فى بابليون، إلا أياماً قلائل لا تزيد عن أسبوع، نظراً لأن الأوثان تحطمت أمام السيدالمسيح، وهربت منها شياطينها، الأمر الذى أثار والى الفسطاط، فأراد قتل يسوع، بعد أن تبين أنه بسببه حدث للأصنام ماحدث.

- لذلك هربت القافلة ليلاً إلى المعادى.

- لقد سارت العائلة المقدسة إلى منف أو منفيس، وكانت عاصمة مصر قديماً واسمها (من نقر)، ومعناها المقبرة الجميلة أو الميناء الجميل. وأقلعت العائلة المقدسة إلى الصعيد، من المعادى فى مركب شراعى بالنيل، من البقعة القائمة عليها الآن، كنيسة العذراء بالمعادى. والتى تعتبر الآن من المزارات المقدسة، حيث طبع المسيح قدمه على درجاتها التى كانت درجات المرسى.

- واستقلوا المركب التى سارت جنوباً، حتى توقفت شرق البهنسا بمركز بنى مزار، تسمى (أباى أيسوس) أى بيت يسوع، حيث أقاموا فيها أربعة أيام.

- لقد بنيت فيها كنيسة، وفى القرن الخامس للميلاد زاد عدد كنائسها عن إثنتى عشر كنيسة، وكان بها أديرة كثيرة للرجال، بلغ عدد رهبانها عشرة ألاف راهب، وأديرة للبنات قدر عدد راهباتها، إثنتى عشر ألف راهبة.

- ثم عبرت العائلة المقدسة بعد ذلك النيل إلى الشاطئ الشرقى، وجاءوا إلى المنطقة المعروفة (جبل الطير)، بالقرب من سمالوط، ويرى أبو المكارم أنهم وهم فى النيل، كادت صخرة كبيرة من الجبل أن تسقط عليهم، وذلك بفعل أمرأة ساحرة، فذعرت مريم العذراء، ولكن السيد المسيح مد يده، ومنع الصخرة من السقوط فامتنعت، وانطبعت كفه على الصخرة.

– وصار الجبل لذلك يعرف أيضاً بـ (جبل الكف)، والكنيسة التى بنتها فيما بعد الملكة هيلانة باسم العذراء مريم، صارت تعرف بكنيسة سيدة الكهف.

- ومن جبل الطير، رحلت العائلة المقدسة إلى الأشمونين بمركز ملوى، على بعد ٣٠٠ كيلو مترا جنوبى القاهرة، وكان اسمها بالمصرية القديمة (خمنو) أى (ثمانية)، وذلك بالنظر إلى عدد آلهتها الثمانية، وأكبرهم (تحوت) المرموز إليه بطائر اللقلق، وقد تطورت الكلمة، فصارت تكتب بالقبطية (شمون).

– ولما كانت المدينة القديمة قد اندثرت، وحلت محلها مدينة أخرى بنفس الإسم، لذلك سميت المدينة الجديدة (أشمونين)، أى أشمون الثانية. وفى العهد اليونانى البطلمى سميت (هيرموبوليس).

- لقد كان فى الأشمونين شجرة تسمى بيرسيا، وهى من نوع شجر الغار وقيل إنها من شجر اللبخ. وفى اللحظة التى اقترب فيها المسيح من باب المدينة، انحنت الشجرة إلى الأرض على الرغم من علوها. وفى نفس الوقت إنكفأت جميع أوثان مصر على وجوهها.

– وفى الأشمونين، أقام السيد المسيح الموتى، وأخرج الشياطين من كثيرين، وجعل العرج يمشون، والصم يسمعون، والخرس يتكلمون، والبرص يطهرون.

- لذلك يمكن أن يقال إن المسيح فى الأشمونين صنع كل العجائب.

- ومن الأشمونين ذهبت العائلة المقدسة، إلى قرية تسمى فيلبس، وهى الآن ديروط الشريف وتبعد عن الأشمونين جنوبا بنحو عشرين كيلو مترا، وهى أيضاً على الضفة اليسرى للنيل، وأقاموا فى هذه القرية أياماً، ثم اتجهوا إلى القوصية القديمة، وكانت تسمى بالمصرية القديمة (قوست)، فلم يرحب أهلها بهم وطردوهم، وذلك عندما رأوا معبودهم سقط وتحطم، وهو تمثال البقرة حاتحور التى ترمز للإلهة إيزيس، فهربت العائلة المقدسة إلى قرية (ميرة) على بعد ٨ كيلو مترات شرق (نزالى جنوب) وهى الآن (مير). ومنها إلى جبل قسقام حيث يقوم الآن دير السيدة العذراء الشهير بالمحرق.

- ودير المحرق يبعد نحو إثنى عشر كيلو مترا، غرب بلدة القوصية الحالية، التى تقع فى محافظة أسيوط، على بعد ٣٢٧ كيلو مترا جنوبى القاهرة، و٤٨ كيلو مترا شمال مدينة أسيوط.

- وفى دير (المحرق) وفى الجهة الغربية منه، توجد الكنيسة الأثرية وتعد أقدم كنيسة فى مصر كلها، وهيكلها هو نفس المغارة التى سكنتها العائلة المقدسة. وأقامت فيها ستة أشهر وعشرة أيام، وهى أطول مدة أقامتها العائلة المقدسة فى رحلتها، التى تنقلت فيها من مكان إلى آخر.

- تجمع كل المصادر التاريخية والكنسية، على أن منطقة دير المحرق فى جبل قسقام، هى آخر بقعة فى صعيد مصر، بلغتها العائلة المقدسة فى رحلتها التاريخية من الشمال إلى الجنوب، وأن هناك رأى القديس يوسف النجار خطيب العذراء مريم، الحلم الذى أعلمه فيه الملاك بموت هيرودس الملك، وأمره أن يعود إلى فلسطين. فلما مات هيرودس إذا ملاك الرب،

يظهر فى حلم ليوسف فى مصر قائلاً، قم خذ الصبى وأمه وإذهب إلي أرض إسرائيل، فقد مات الذين كانوا يبتغون قتل الصبى.

– على كل تقدر مدة إقامة العائلة المقدسة فى قسقام، ستة أشهر وعشرة أيام، كما سجلها يوسف النجار على إحدى اللوحات الحجرية المحفوظة بالدير المحرق.

● وغادرت بعدها العائلة المقدسة المدينة، للعودة إلى فلسطين وعادت بالمركب.

– عادت المركب من قسقام إلى بابليون مباشرة، حيث أقاموا ليلة فى كنيسة أبى سرجة، ومنها مروا بالمطرية لزيارة الشجرة المقدسة مرة أخرى، حيث تركوا الحوض الحجرى الذى استحم به المسيح، ومازال موجوداً فى مكانه إلى الآن ثم اتجهوا منها إلى قرية المحمة (مسطرد)، حيث فجر بها المسيح بئراً مقدسة، واتجه منها إلى طريق الإسماعيلية الحالى حتى البحيرات المرة، واتجهوا منها شمالاً إلى شاطئ البحر. ثم اتجهوا بمحاذاة الشاطئ، حتى وصلوا إلى الناصرة فى فلسطين.

● على كل هناك آراء واحتمالات، تقول إنه ليس هناك مايمنع أن تكون العائلة المقدسة، بعد أن تلقت فى جبل قسقام الأمر بالرجوع إلى أرض فلسطين، أن تكون قد سلكت فى عودتها، طريقاً انحرف بها إلى الجنوب قليلاً حتى جبل أسيوط، فقد كانت أسيوط آنذاك مرسى سفن، وكان لابد للعائلة المقدسة من أن تذهب جنوباً إلى أسيوط، حتى يستقلوا المركب التى تعود بهم إلى الشمال.

– على كل لقد اختلف المؤرخون، فى تقدير المدة التى أقامتها العائلة المقدسة فى مصر، فمنهم من يعتقد أنها تزيد عن ثلاث سنوات ونصف، وقد تصل إلى أربع سنوات، أو أربع سنوات وشهرين، أو ثلاث سنوات وسبعة أشهر.

- على كل هذه الرحلة للعائلة المقدسة، تؤكد أن الله قد اختص مصر وحدها من دون بلاد العالم كلها، بأن يلجأ السيد المسيح إليها مع أمه العذراء مريم.

- حقاً إنه لشرف عظيم وبركة جزيلة، يؤكدها قول الوحى الإلهى فى الكتاب المقدس «مبارك شعبى مصر».

- هل يا أبانا العزيز، برحلة العائلة المقدسة، نكون قد ألقينا الأضواء على عصر المسيح، أم أن هناك مايجب إضافته فى هذا الخصوص.

- أعتقد أن هناك موضوعاً هاماً يجب أن نختتم به حوارنا، وهو البشائر الأربعة وكاتبوها، والتى من مجموعها يتكون الإنجيل، الذى مضمونه سيرة يسوع المسيح وتعاليمه وأعماله، وآلام المسيح وموته وقيامته.

- كم أنا تواق للاستزادة من نهر معرفتك الفياض يا أبانا العزيز المبارك.



[٧] البشائر الأربعة وسيرة كاتبيها
«متى - مرقس - لوقا - يوحنا»

- باديء ذي بدء، قبل أن نتطرق إلى البشائر الأربعة وكاتبيها، لا يفوتنا أن نذكر، أن سيرة يسوع، كانت في البداية مجرد أقوال لم تدون، بل كان المؤمنون يتداولونها شفاهة فيما بينهم، حتى تقدم رسل المسيح، ورووا ذكرياتهم في البشائر التي تركوها لنا.

- على كل لقد ركز البشيرون الأربعة- متى ومرقس ولوقا ويوحنا- على قصة حياة المسيح.

- وهي الموضوع الرئيسي لما كتبوه، وإن لم يكتبوا القصة الكاملة لحياة يسوع. إلا أن منهم من ركز على فترات من حياته، تناولوا بعضها بكثير من التفصيل، بينما تناولوا البعض الآخر باختصار شديد.

- وخير مثال لذلك، أننا لانعلم عن حياة المسيح، خلال الثلاثين سنة الأولى من حياته الأرضية، إلا القليل جداً، وذلك لأن الوحي لم يتحدث عنها بشئ.

- وكذلك فترة الأربعين يوماً، التي أعقبت قيامة المسيح من القبر، لانعرف عنها إلا أقل القليل. لذلك قبل أن نتطرق إلى حياة يسوع المسيح، من واقع الإنجيل الذي كتب بشائره الأربعة كل واحد منهم على حده، أن نقدم ملخصاً لكتاب البشائر: من هم؟ وأين كتبوا البشائر؟ وما هي أوجه الخلاف والاتفاق بين هذه البشائر الأربعة في المواضيع وترتيب الأحداث؟.

● وبالطبع إلى جانب البشائر الأربعة، لابد أن نتطرق إلى سفر أعمال الرسل، الذى تكمن قيمته بالنسبة للرسائل التى تأتى بعده فى الإنجيل، وباعتباره مقدمة للرسائل، التى لم يكن ممكناً لنا أن نفهمها بدون التاريخ المدون فى هذا السفر، الذى تجد فيه شرحاً للظروف التاريخية للكنائس التى كتبت إليها الرسائل. وبالطبع من الضرورى أن نتطرق لمن كتب سفر أعمال الرسل وتاريخ كتابته.

– لذلك سوف نتطرق للأناجيل (البشائر) الأربعة، وأعمال الرسل باعتبارها أسفاراً تاريخية.

● ولنبدأ بإنجيل متى.. تُرى من هو كاتب هذا الإنجيل؟

– هو لاوى بن حلفى، يهودى المنبت. كان يعمل محصلاً للضرائب، فى ديوان الأموال الأميرية، التابع للسلطات الرومانية، والذى يديره أحد أثرياء الرومان، يسمى ملتزم جمع الأعشار، من منطقة كفر ناحوم. لقد كان متى من سكان إقليم الجليل.

● وهو نفس الإقليم الذى كان ينتمى إليه بقية رسل المسيح.

- ولو بحثنا فى سيرة متى البشير، لعرفنا أنه بينما كان جالساً فى دار الجباية، مر به يسوع ودعاه إليه فاستجاب لتلك الدعوة، واستقال من عمله، وأصبح تابعاً أميناً، وتلميذاً مخلصاً ليسوع. وأن متى هذا، هو الذى عمل وليمة فى بيته حضرها يسوع مع تلاميذه، ودعا إليها رفاقه من العشارين، الذين كان يحتقرهم ويزدرى بهم رجال الدين من الكتبة والفريسيين. فى هذه الوليمة، قدم لرفاق العمل يسوع معلمه لكى يروه ويسمعوه.

- لقد أصبح متى واحداً من رسل المسيح، واستمر تابعاً له طيلة أيام وجوده على الأرض، وبعدما صعد المسيح إلى السماء، كان متى بين المجتمعين في العلية في يوم الخمسين، وقد تمتع معهم بنوال موعد الآب.

- ولما كان متى البشير واحداً من رسل المسيح، فإنه كان شاهد عيان سجل لنا ما رآه بعينيه وسمعه بأذنيه. وكل ما دونه في بشارته، كتبه تحت تأثير وقيادة الروح القدس، الذى كان المسيح قد وعد تلاميذه به، لكي يرشدهم ويقودهم إلى كل الحق، ويذكرهم بكل ما قاله لهم. لأجل هذا فإن كل ما سجله متى في بشارته، جدير بالثقة والاعتبار من كل من يقرأ هذه البشارة.

- لقد كانت بشارة متى، هي أول ما ظهر من بشائر الإنجيل. وقد كتبت بعد صعود المسيح إلى السماء بحوالي ثماني سنوات (حوالي عام ٤١م).

- وقد كتبها أصلاً في اللغة العبرية، وأنه في عام ٦١م ظهرت ترجمتها إلى اليونانية.

- على كل نستطيع أن نقول، إن الروح القدس قد وضع أمام متى البشير هدفاً وهو يكتب بشارته. هذا الهدف هو إيضاح العلاقة بين يسوع وبين اليهود، ومكان يسوع ومكانته في كتب اليهود المقدسة، وأيضاً علاقته مع اليونانيين.

- لقد قصد متى، أن يقدم لنا في بشارته، حياة المسيح من منظوره هو، في ضوء أحداث التاريخ، التي واكبت ظهور المسيح وموته، وأعقبت صعوده إلى السماء، وكذلك في ضوء نبوات الأنبياء الأقدمين.

- وماذا عن بشارة مرقس ومن هو كاتبها؟

- بشارة مرقس هى البشارة الثانية. وكاتبها من مواطنى مدينة أورشليم، إسمه ولقبه اللاتينى مرقس، أما إسمه العبرى يوحنا، وأمه تدعى مريم وخاله هو يوسف اللاوى (برنابا).

- على كل مرقس لم يكن بين الذين أبصروا المسيح أو سمعوه أو عاينوا معجزاته. وعندما كتب بشارته، تحقيقاً لرغبة المؤمنين الذين كانوا فى رومية بعد انتقال بطرس الرسول، سجل مرقس بكل دقة وأمانة، ما كان قد سمعه من فم أبيه فى الإيمان، دون أن يحذف أو يضيف إليه شيئاً من عندياته. ويشهد التاريخ، أن مرقس هو الذى أسس كنيسة الإسكندرية.

- لقد كتبت بشارة مرقس، بعد صعود المسيح (ما بين عامى٤٢ و٥٠م)، وغالباً أنها كتبت فى رومية. وقد كتبت للمهتدين إلى الإيمان المسيحى من غير اليهود (الأمم). وتتميز بشارة مرقس، بالتركيز فى الأعمال المعجزية التى أجراها السيد المسيح، أكثر من تركيزه على أقواله وتعاليمه. كما تتميز أيضاً بتقديم يسوع كإنسان كامل البشرية، يجوع ويعطش ويفرح ويكتئب ويصلى ويتألم وفى النهاية يموت.

- لقد كان هدف مرقس فى بشارته، تقديم المسيح رب الكل للأمم، لقد ركز على شخصية ابن الإنسان، إلا أنه تدرج فى الكشف عن حقيقة المسيح، فهو يعرف خفايا القلوب، كما أنه هو رب السبت.

- على كل فكل الوقائع والأحداث المسجلة فى بشارة مرقس، تشير إلى أن بطرس يقف وراء كل هذه الأمور. وهو المصدر الذى استمد منه مرقس كل المعلومات والوقائع والأحداث عن يسوع، لأنه لم يكن بين أولئك

الذين رافقوه ولازموه إلى الحد الذى جعله يشهد ويسمع كل ما دونه فى بشارته.

- من هو لوقا البشير كاتب إنجيل لوقا؟

– كاتب البشارة هو لوقا فايرنيوس، رغم أنه لايوجد فى البشارة ذكر صريح لإسم كاتبها. فمن الشهادة الداخلية للبشارة، يتبين أن كاتبها شخص يونانى مثقف، كان يعمل طبيبا، وأنه كان مرافقاً للقديس بولس فترة من الزمن. والتقليد يشهد بأن لوقا، هو الذى كتب كلاً من بشارة لوقا وسفر أعمال الرسل. وكل المعلومات التى نعرفها عن لوقا، واردة فى سفر أعمال الرسل، وبعض مقططفات من رسائل بولس الرسول.

- ويبدو أن بشارة لوقا قد كتبها أصلاً إلى ثاوفيلس، الذى كان من وجهاء اليونان. لقد كان أممياً لم يقبل المسيحية بعد. ومع ذلك يمكن القول إن كاتب بشارة لوقا لم يقصد أن يوجهها إلى ثاوفيلس وحده، لكنه كتبها إليه، باعتباره ممثلاً لقاعدة عريضة من القراء وهم المهتدين من الأمم، اليونانيين وليس اليهود.

– لقد قدم البشير لوقا لثاوفيلس ورفاقه من بنى الإغريق بكل تدقيق، قصة الإنجيل بكل تفاصيلها، كما حدثت بالتمام، مسجلاً لهم فيها كذلك تعاليم السيد المسيح فى صيغتها الأصلية، بطريقة تفوق ما فعله غيره من البشيرين.

- لقد كتبت البشارة بين عامى ٥٨ و ٦٧م وقد اختلفت الآراء عن المكان الذى كتبت فيه.

- فالبعض قال كتبت فى أخائية، والبعض قال بكتابتها فى رومية أو قيصرية، أو أسيا الصغرى أو أفسس أو كورنثوس.

- وتقدم لنا بشارة لوقا يسوع، باعتباره نسل المرأة الموعود، الذى جاء مخلصاً ليس للشعب اليهودى وحده، وإنما لجنس البشر كافة يهودا وأمماً.

- ولم يحظ القديس لوقا، بالاستمتاع برؤية الرب يسوع المسيح، ولكنه استقى معلوماته من أولئك الذين كانوا منذ البدء معاينى وخداماً للكلمة، وفى مقدمة هؤلاء العذراء القديسة مريم، ورسل المسيح وعلى رأسهم بولس. وبالطبع ماتحويه بشارة لوقا من خصائص ومميزات عن شخص المسيح كإنسان كامل، وتقدمه ونموه فى الجسد والروح، واهتمامه بالصلاة والمعجزات التى أجراها، فهذه وغيرها الكثير.

- من هو يوحنا البشير كاتب إنجيل يوحنا؟

- هو شخص يهودى، لديه قدر واف من المعرفة لأسفار العهد القديم، ضمن بشارته إقتباسات عديدة، وأسلوبه يكشف هويته اليهودية، رغم أن بشارته كتبها باللغة اليونانية. وهو يهودى فلسطينى، يعرف العوائد والعقائد، فقد ولد فى الأرض المقدسة، وعاش فى المجتمع اليهودى، دون أن يتكلم اليونانية.

- كما لم يجهل الطقوس، التى كان يفرضها الناموس، والأماكن الموجودة فى فلسطين (أورشليم- وادى شكيم- جبل جرزيم- الهيكل- كفر ناحوم).

- لقد كان يوحنا شاهد عيان للأحداث التى ذكرها فى بشارته. وهذا تؤكده البساطة التى يصور بها الأحداث، والمشاهد والتحديدات التى يذكرها بكل دقة وبصورة قاطعة، وتحديد الأشخاص الذين تعامل معهم يسوع.

- وكاتب هذه البشارة القديس يوحنا الرسول، الذى كان من التلاميذ الأوائل الذين تبعوا يسوع، وما لبث أن أصبح واحداً من أقرب المقربين إليه وألصقهم به.

- لقد كان يوحنا ذا طبع حاد، وشخصية صعبة المراس، كما كان من ذوى الطموح الجامح، ومع ذلك إستطاع الرب أن يقود يوحنا لمعرفة حقيقة طباعه، وعلمه كيف يتغلب عليها، ويتخلى عن كل عنف واحتداد.

- كما كان يوحنا رجلاً متديناً بعمق. يحيا فى شركة كاملة مع الرب ومع الآخرين، كان غيوراً ليس من الآخرين ولكن غيوراً على الدين، غيوراً فى الدفاع عن الإيمان الحق.

- لقد كتب يوحنا بشارته فى سنة ٩٨م، وقد كتبت للمسيحيين فى آسيا الصغرى، وتلبية لرغبة أساقفة الكنيسة فى آسيا الصغرى، لقد كان هدفه من كتابة بشارته أن يسوع هو المسيح ابن الله. لقد تميزت البشارة بالتركيز على لاهوت المسيح.

- أستأذنك يا أبانا العزيز المبارك، بعد أن ذكرنا الأناجيل الأربعة وكاتبيها، أن نتطرق إلى سفر أعمال الرسل، بذات الإيجاز الذى تناولنا به الأناجيل وكاتبيها.

- سفر أعمال الرسل، يتضمن الأعمال التى قام بها الرسل، والعديد من أقوالهم وأقوال أشخاص آخرين. وكاتب السفر هو القديس لوقا، الذى كان رفيقا للقديس بولس فى بعض سفرياته، وأنه استخدم فى كتابته تعبيرات طبية، أسلوبه فى بشارة لوقا، هو أسلوبه فى كتابة أعمال الرسل.

- ولقد كتب سفر أعمال الرسل، فى ذات الوقت الذى كتبت فيه بشارة لوقا أو بعدها بقليل جداً، حتى أنه قيل إن البشارة وسفر أعمال الرسل، ليسا كتابين منفصلين، لكنهما كتاب واحد فى جزءين.

– الهدف من سفر أعمال الرسل هو تسجيل بدايات المسيحية، وعلى الأخص فى العالم اليونانى، الذى زحفت إليه الحركة المسيحية وإنتشرت وازدهرت فيه.

- ففى أعمال الرسل، نجد كيف خرجت المسيحية من قلب اليهودية، ثم بدأت توسع دائرة نشاطها، فراحت تقدم البشارة لوزير حبشى، وكيف ذهب الرسل إلى السامرة، وكيف أنهم فى أنطاكية قدموا البشارة لليونانيين، ثم بعد ذلك ذهبوا حاملين الأخبار السارة إلى دول البحر الأبيض المتوسط.

– على كل فى سفر أعمال الرسل، العديد من الأحداث المثيرة والمحاكمات، وأحداث الشغب والإضطهادات، والهرب والاستشهادات والرحلات وتحطم السفن. كل هذه المشاهد تنقلنا بين مدن العالم القديم من أورشليم، إلى أنطاكية وفيلبى وكورنثوس وأثينا وأفسس وروما بمعابدها ومحاكمها وسجونها وصحاريها وبحارها ومسارحها، كل هذه تنقلنا بين ربوعها ومعالمها، عين قديس مؤرخ واع وهو لوقا، يرصد أعمال العناية الربانية العاملة، فى حياة خدام إنجيل المسيح، التى قادتهم وأرشدتهم وحفظتهم فى مسيرتهم إلى هذا العالم الواسع، حاملين للناس بشرى الخلاص، ورسالة الحياة الأبدية.

- لقد احتوى سفر أعمال الرسل قسمين، أولهما خاص بتأسيس الكنيسة فى أورشليم، والثانى تأسيس الكنيسة فى أسيا الصغرى وأوربا.

– لقد كتب لوقا سفر أعمال الرسل، فوصل بنا إلى المسيحية وقد بلغت روما، وانطلقت منها إلى بلاد الغال (فرنسا) وأسبانيا.

- كم أنا شاكر لك هذا الفضل ياقديسنا المبارك، يا أبانا العزيز، فقد أوضحت لنا الكثير، الذى يدخلنا إلى عصر المسيح. وأستأذنك أن نتطرق إلى موضوع هام نختم به حوارنا وهو تلاميذ المسيح.



[٨] أضواء على تلاميذ المسيح الإثنى عشر

- هذا يتطلب منا التعريف بمن هم تلاميذ المسيح، وملامح شخصية كل منهم. فهؤلاء من خلالهم عرفنا المسيح المخلص، هؤلاء الذين لاحقتهم الضيقات وصبروا. لقد نالوا القوة من المسيح، وبها صنعوا المعجزات، وطهروا البرص، وأخرجوا الشياطين، وأقاموا الموتى.. ومع ذلك نالوا من العذاب والآلام الكثير والكثير حتى الاستشهاد. والحديث عنهم يتطلب الصفحات والوقت.

- ترى من هم تلاميذ المسيح الإثنى عشر، أو بالأحرى من هم الآباء الرسل الذين اختارهم الرب يسوع المسيح بنفسه.

- لقد عاشروه وتتلمذوا عليه أكثر من ثلاث سنوات، وكانت لهم أحاديث خاصة مع يسوع، ورأوا معجزاته، وظهر لهم بعد القيامة أربعين يوماً. فى تلك الفترة، فتح المسيح ذهنهم ليفهموا الكتب، وعقائد الكنيسة وطقوسها، وعلى أيديهم تم تأسيس الكنيسة الأولى، وبدأت تنمو الكنائس فى خوف الرب، وبتعزية الروح القدس.

- لقد صار الآباء الرسل كهنة ورؤساء كهنة للعهد الجديد، وقد أعطى لهم سلطان الحل والربط، وعهد إليهم بنشر الكرازة، وتعميد كل الذين يؤمنون على إسم الثالوث الأقدس.

- ومن خلال هؤلاء الرسل، تسلمنا التقليد الرسولى الذى تسلموه من يسوع المسيح، وعاشوه بقواعد إيمانية سواء فى الطقس أو العقيدة. فلا غرو أن كانت الكنيسة القبطية، تقدم توقيراً كبيراً للآباء الرسل، وتأخذ الحل

والبركة من أفواههم، فى كل قداس إلهى، وفى الاجتماعات، وتدشين أيقوناتهم، وتقيم لهم صوماً على اسمهم (صوم الرسل)، وتعيد لهم بعيد كل عام، وبأعياد خاصة لكل منهم على حده، وتذكر أسماءهم فى مجمع القديسين وترتل لهم الذكصولوجيات.

- على كل يا أبانا المبارك، إننا حين نذكر الآباء الرسل وسيرهم، فلأنهم كرزوا بالإيمان بقوة الروح القدس العامل بهم وفيهم، وحين نمجدهم فى كرازتهم وتعبهم، لأنهم عاشوا مع الرب يسوع فى إيمان كامل وتسليم وفقر وزهد. فلا عجب ولا دهشة، أن كان الرب قد أعطاهم مواهب لم ينلها أحد من قبل، فشفوا المرضى وطهروا البرص وأخرجوا الشياطين وأقاموا الموتى، وعندما حل عليهم الروح القدس، منحهم أن يتكلموا بألسنة، وأعطاهم صنع العجائب.

- هولاء الرسل الذين دعاهم يسوع المسيح إخوته وخاصته، وأحبهم حتى المنتهى، هم الذين غسل أرجلهم ومسحهم بالمنشفة وطهرهم، ثم سلمهم سر الأفخارستيا المقدس، فكانوا أول من تناولوا هذا السر المقدس، هؤلاء الإثنى عشر رسولاً هم: سمعان وأندراوس أخوه، يعقوب بن زبدى ويوحنا أخوه، فيلبس وبرثولماوس، توما ومتى العشار، يعقوب بن حلفى ولباوس الملقب تداوس، سمعان القانوى ويهوذا الإسخريوطى الذى أسلمه.

- على كل لقد أثبت التلاميذ أن التلمذة الحقة، لم تكن تعاليم يتعلمها التلاميذ من معلمهم، وإنما هى حياة يعيشها التلاميذ، وتكون بالنسبة لهم دستوراً يعيشون عليه مدى حياتهم، ومبادئ راسخة تثبت فى كل من يتعلم.

- وبالطبع إنك تطلب تطبيقاً عملياً لما تقول، وهذا لايتأتى إلا بالتطرق لحياة التلاميذ الإثنى عشر ولو بإختصار.

- كل على حده، ولنبدأ بـ «سمعان».

- سمعان بطرس، هو التلميذ والرسول والشهيد سمعان معناه السميع المطيع. وبطرس معناها الصخر، وهو إبن يونا من مدينة بيت صيدا. لم يظفر بقسط وافر من الثقافة اليهودية أو اليونانية. إنتقل بطرس من بيت صيدا إلى كفر ناحوم ليتخذها مقاماً له.

- لقد كان بطرس صيادا ومتزوجاً وله إبنة تسمى بترونلا.

- لقد جاء تلميذاً إلى يسوع المسيح، عن طريق أخيه أندراوس، وكان الإثنان من تلاميذ يوحنا المعمدان. كما كان بطرس كليم الجماعة، والناطق بلسانها، فهو الذى كان يسأل الأسئلة، وهو الذى يجيب عليها.

- هو الذى أجاب عن التلاميذ يوم وجه يسوع سؤاله لكل التلاميذ، وهو الذى اقترح فوق جبل التجلى أن تقام المظال، وهو الذى إندفع محتجاً على سيده يوم أخذ يلمح إليهم عن موته العتيد، وكان إحتجاجه عنيفاً حاداً. وهو الذى كان فى مواقف كثيرة، يوجه الأسئلة إلى المسيح، وهو الذى طلب إليه مع يوحنا أن يعد عشاء الفصح، وهو الذى يقر فى جرأة وشجاعة أن يكون مخلصاً.

- لقد كان بطرس ممثل جماعة الرسل والناطق بلسانهم، وفى قوائم الرسل يذكر دائماً فى المقدمة. ولكن ليس معنى هذا، أن بطرس تولى فى حياة المسيح وظيفة الزعامة والقيادة بين التلاميذ، فهو لم يصدر إليهم الأوامر، ولم يكل إليه يسوع شيئاً خلال حياته على الأرض.

- لقد برزت زعامة الرسول فعلاً فى الكنيسة الأولى، فهو الذى يشير على التلاميذ أن ينتخبوا واحداً لتكملة الإثنى عشر بدلاً من يهوذا الخائن، وهو الذى يشرح للجموع الحاشدة معجزة يوم الخمسين.

– وهو الذى يجرى معجزة شفاء الرجل الأعرج، وهو الذى يتولى الدفاع عن قضية الإنجيل أمام السلطات وهو الذى يشرف على نظام الكنيسة. وهو الذى غادر المدينة المقدسة بعد إطلاقه من السجن.

- أما عن أخلاقه وصفاته، فقد كان رجلاً ذا مواهب عقلية، فقد كان دائم التساؤل أكثر من التلاميذ كلهم. كما كان إنساناً مرهف الحس، قوى العاطفة، فى أوقات المرح والفرح، وساعا ت الحزن والظلمة الكئيبة. كان شديد العزم قوى الإرادة. فقد ترك كل شئ وتبع يسوع. وقفز إلى الماء ليمشى نحو سيده.

– لقد تجرأ فانتهر سيده علانية أمام زملائه، واستل سيفه ليضرب عبد رئيس الكهنة. لقد تجمعت لدى بطرس كل العناصر اللازمة لتكوين شخصية قوية، ولكنه مع ذلك كان ضعيفاً ومحتاجاً لمن يصقل شخصيته، ووجد هذا فى يسوع.. إما بنظرة أو بمديح أو بالانتهار. وقد كان كل هذا من حسن حظ بطرس.

- لقد كان لبطرس (سمعان) مواقف من المسيح، لقد أنكر سيده قبل أن يصيح الديك، وعاقبه الرب بنظرة عتاب ولوم وإشفاق ومحبة، وخرج إلى الخارج وبكى.

– لقد أخذه يوحنا إلى داره إنساناً محطماً، ثم صلب سيده، وعقب الصليب كانت فرحة القيامة، ففى صباح القيامة أخطر بطرس خصيصاً بها.

وبعد ذلك ظهر الرب لبطرس وحده مرة، ثم أخرى عند بحر طبرية ويطلب منه رعاية المؤمنين.

- ترى ماذا حدث لذلك التلميذ العنيف المندفع، بعد أن دعى لترويض نفسه على الصبر؟

– فى يوم الخمسين، واجه الجموع الهائجه بشجاعة، وشرح لهم حقائق حياة الرب وموته وقيامته. فى حياته كرسول، نراه إنساناً قوياً فى زعامته وفى جهاده.

- لقد أجرى الرب على يديه معجزات كثيرة، إذ أن ظله كان يشفى المرضى.

– لقد كتب رسالته الأولى إلى المؤمنين المتغربين، فى شتات بنتس وغلاطية وكبدوكية وآسيا وبثينية، وكلها فى آسيا الصغرى. وكانت غاية هذه الرسالة، هى تشجيع المؤمنين بقبول الألم، وقد كتبت بين سنة ٦٣ و٦٧م أثناء إضطهاد نيرون.

- أماالرسالة الثانية، فقد كتبها إلى كل المسيحيين فى اسيا الصغرى فى حوالى سنة ٦٤ / ٦٨م، وهى بمثابة رسالة وداعية.

– بالطبع الحديث عن بطرس، يلزمنا بأن نتحدث عن يعقوب ويوحنا باعتبارهما من أخصاء المسيح.. وكذلك عن اندفاعه إلى داخل القبر الفارغ، ومن إلقاء نفسه من السفينة نحو المسيح والخدمة المشتركة بينه وبين يوحنا. ووقوفهما أمام مجلس القضاء اليهودى.. وهو ومرقس، وهو وبولس واستشهادهما.

- وهذا يتطلب الوقت والجهد لذلك سوف نغض الطرف عنه فى هذه العجالة.

– على كل نكتفى بأن نقول، إن القديس بطرس، قد استشهد فى روما هو والقديس بولس، حينما قبض عليه نيرون الذى أمر بصلبه، فطلب أن يصلبوه منكس الرأس، وأسلم روحه بيد الرب، وتعيد له الكنيسة فى الخامس من شهر أبيب من كل عام.

- وماذا عن التلميذ الذى كان يسوع يحبه (يوحنا) ؟

– هو يوحنا ابن زبدى. أبوه كان غنياً لديه عدد من الخدم كانوا يساعدونه فى إصلاح الشباك. كما كان يمتلك بيتاً، كما كان معروفاً لدى قيافا رئيس الكهنة باعتباره من أهل الجاه والكرامة.

- أما أمه فكان اسمها سالومى، وكانت سيدة نقية فاضلة، واختا للعذراء المباركة، ويبدو أنها حظيت بقسط من نعيم الحياة، لأنها كانت بين النساء اللواتى خدمن المسيح، واشتركت معهن فى شراء الحنوط الكثير الثمن، لتكفين جسد المسيح بعد الصلب.

– وهذا يبين لنا، أن يوحنا كان إبن خالة المسيح حسب الجسد، من عائلة شريفة ولد فى بيت صيدا، اتخذ صيد الأسماك مهنة له. نشأ فيلسوفا متصوفا عابداً.

- لقد ولد فى أول حكم أباطرة الرومان، وامتدت به الأيام حتى بلغ أوا ئل القرن الثانى– وبذلك كان أطول الرسل عمراً.

– لقد تربى يوحنا فى مدرسة القرية، حيث تعلم مبادئ القراءة والكتابة، ويبدو أنه نشأ نشأة يهودية صارمة متزمته، تروض فيها على كراهية

السامريين وكل الخوارج عن اليهودية المحافظة، وعلى التعصب لدينه وأمته ووطنه، حتى دعى فيما بعد مع أخيه إبني الرعد. ثم تتلمذ على يد يوحنا المعمدان، فاكتسب مزيداً من الصلابة. هذا الإنسان المتزمت اليهودى المتعصب جعله يسوع ليناً وادعاً.

- وفى كتاباته لم يحاج ويجادل،. ولكنه يروى ما عاينه واختبره فى ثقة وصدق كشاهد أمين. لقد كان أول من تبع يسوع فى الطريق مع أندراوس، عقب تركهما يوحنا المعمدان. وبعد انقضاء ثمانية عشر شهراً، دعاه يسوع ليصيد الناس، ويترك أباه زبدى. وأصبح بالفعل من التلاميذ الذين إصطفاهم المسيح. وظل فى خدمة المسيح خلال السنوات الثلاث الأولى.

- لو تابعنا أعماله فوق جبل التجلى، نراه مع رفاقه الثلاثة حانقاً على كل إنسان يخرج الشياطين باسم يسوع، وهو ليس يتبعهم.. لقد طلب من يسوع فى السامرة، أن ينزل ناراً من السماء تحرق القرية، لأنها لم تحسن لقاءهم، ولم تقدم أصول الضيافة.. عندما جاء مع أخيه إلى يسوع، طلب أن يكون مع أخيه فى موقع الصدارة فى الملكوت.. لقد كان يوحنا أحد الأربعة الذين التمسوا تأويل نبوة جبل الزيتون.. كما أرسل مع بطرس ليعد وليمة الفصح فى العلية.. وهو الذى راقب بطرس بعد إنكار سيده، وتعقبه وأخذه إلى بيته وهو كسير القلب حزين مهدم.. وهو الذى وقف على مقربة من الصليب، وسمع يسوع وهو يكل إليه العناية بأمه.

- وهو الذى بعد الصلب، نراه فى صباح القيامة، مسرعاً إلى القبر الفارغ. وهو الذى بعد يوم الخمسين، نراه عند الباب الجميل مع بطرس، وانطلق إلى السامرة لينادى بالقيامة. لقد ذهب إلى جزيرة بطمس من أجل كلمة الله وشهادة يسوع.

- فى كل ما كتب يوحنا تظهر شخصيته مفكراً ومتصوفاً عابداً وشاعراً خيالياً. لذلك شغفت به الجماهير، وكان أقرب الرسل والكتاب إلى قلوب المسيحيين.

- فلا عجب أن سمى يوحنا التلميذ الحبيب، والرسول الرائى واللاهوتى.

- لقد جمع يوحنا أدلته بقوة الرؤيا، إلى جانب قوة المنطق والاستنتاج العقلى. لقد رأى وسمع ولمس هذا الرسول الذى أحب فى حماس وقوة. وجعل المحبة مفتاح كتاباته وعنوان حياته. هناك الكثير عن يوحنا. كيف عالجه السيد المسيح حتى أصبح من أعمدة الكنيسة، ومن أصلب قادتها وزعمائها؟.

- لقد حمل هذا التلميذ الرسالة طوعاً لأمر سيده إلى بلاد آسيا، التى كان سكانها غلاظ القلوب قساة، فأساءوا لقاءه ومعاملته فى أول الأمر.

- بدأ عمله فى أفسس ومعه تلميذه بروخوروس، وقاسى كثيراً سواء من كهنة الأوثان الذين حاولوا الفتك به مراراً، وظل يعالجهم بالمحبة والعطف حتى دانوا بالمسيحية، وأقبل الشعب إلى معرفة الله، ورسم لهم كهنة وأساقفة يتولون رعايتهم. لقد خرج من أفسس إلى بقاع كثيرة فى آسيا، ونشر الدعوة وأسس كنائس كثيرة هناك.

- لقد حكم عليه بالنفى فى جزيرة بطمس، من أجل الشهادة بالإنجيل، لقد عاصر يوحنا عهد الإمبراطور «دومنيانوس» والإمبراطور «نرفا»، والإمبراطور «تراجان» من سنة ٩٨ إلى سنة ١١٧م، مما يؤكد أنه عمَّر طويلاً، فقد عاش إلى أوائل القرن الثانى، لقد قيل إنهم كانوا يحملونه إلى

الكنيسة- عندما بلغت به الشيخوخة- ويرفعون يديه ليقول جملة واحدة «يا أبنائى أحبوا بعضكم بعضاً».

- أما عن نياحته، فقد قيل إنه لما أحس بقرب إنتقاله من هذا العالم، دعا إليه الشعب، وناوله العشاء الربانى، ثم وعظهم حاثا إياهم على الثبات والاحتمال، ثم خرج من مدينة أفسس وأمر تلميذه وآخرين معه فحفروا له حفرة هناك. نزل فيها ورفع يديه، وصلى وودعهم، وأمرهم أن يعودوا إلى المدينة، ويثبتوا الأخوة فى الإيمان، قائلاً لهم: «إنى برئ الآن من دمكم، لأنى لم أترك وصية من وصايا الرب إلا أعلمتكم بها، والآن إعلموا أنكم لاتعودون ترون وجهى فيما بعد، وسيجازى الله كل واحد حسب عمله».

ولما قال هذا، قبلوا يديه ورجليه ثم تركوه ومضوا، فلما علم الشعب بذلك خرجوا جميعهم إلى حيث كان فوجدوه قد مات. وبكوا عليه بحرقة.

● وماذا عن يعقوب أخى يوحنا؟

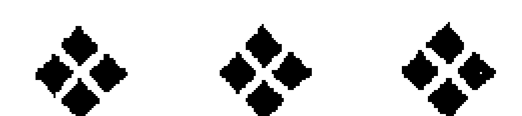
- أبوه زبدى وأمه سالومى وأخوه يوحنا الرسول. ويبدو أنه كان الأكبر سناً. لقد كان أحد الرسل الثلاثة الأخصاء بطرس ويعقوب ويوحنا.

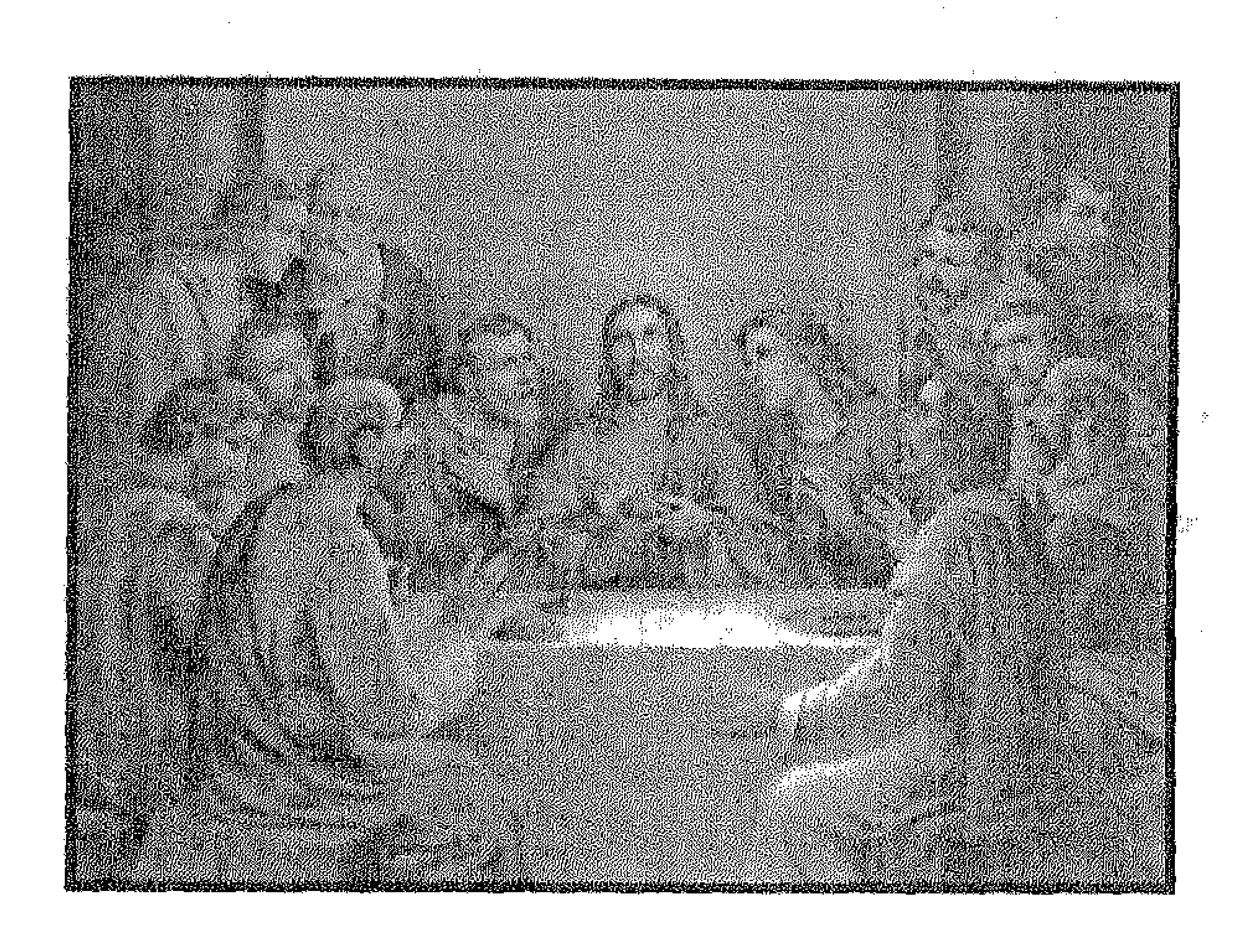
● لقد كان مع بطرس ويوحنا عند إقامة إبنة يايروس من الأموات، وعند التجلى وليلة جهاد المسيح فى جثيمانى.

- ولعل لمحة من أخلاقه، يظهرها لنا الإنجيل وتتضح، عندما إمتنع أهل القرية عند تقديم الضيافة ليسوع وتلاميذه، فلم يقبلهم السامريون، فطلب يعقوب ويوحنا من الرب، أن يسمح لهما أن يطلبا أن تنزل نار من السماء فتفنيهم، فعرفهما الرب أنه لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلصهم. لقد حدث هذا فى رحلة يسوع الأخيرة من الجليل إلى اليهودية عن طريق السامرة.

● ولمحة أخرى من حياته، تتضح عندما طلبت أمه من الرب يسوع، وهو صاعد مع تلاميذه إلى أورشليم، عن طريق أريحا من أفرايم بعد إقامة لعازر. فتجرأت وطلبت من يسوع، أن يجلس ولداها واحد عن يمينه والآخر عن يساره فى الملكوت، وتصورت أن صلة القرابة بينها وبين يسوع، والخدمات التى أدتها له، كفيلين بأن يوافق على طلبها، ولكن المسيح عذرها وولديها لجهلهم بأنه لايعرف المحسوبية أو الشفاعة أو الواسطة.

– على كل لقد كان يعقوب أسبق الرسل إلى الاستشهاد، فقد قتله هيرودس أغريباس بقطع رأسه لأنه كان يناصبه العداء ولأنه رغب فى اكتساب رضاء اليهود. كما أن إيمان يعقوب ورباطة جأشه، دفعت الإنسان الذى اشتكى عليه، واقتاده إلى محلة الإعدام بالسيف، تأثر وتاب واستغفر واعترف بأنه مسيحى، فقبله يعقوب وقال له السلام عليك وقطع «الجلاد رأسه».





- وماذا عن أندراوس؟

- أندراوس كلمة يونانية معناها الرجل القوى. وهو أخو سمعان وإبن يونا. لقد كان تلميذاً ليوحنا المعمدان، وتأثر به وأطاعه، وخرج من لدنه طالباً ملكوت الله. وقد اعترف بخطاياه، وتاق أن يخلص من كل آثارها ونتائجها، وترقب مجئ يسوع. لقد كان من أصدقاء أندراوس المقربين، يوحنا المتقشف الزاهد الصارم الحالم المفكر الشاعر الرائى، وكذلك فيلبس الهادىء المتعبد.

- لقد كان أندراوس رجلاً فريداً فى قوته ورجولته وحياته. إمتاز بشجاعته الأدبية وبعد نظره وسعة الأفق- سار وراء يسوع بخطى حذره. لم يبدأ الكلام مع يسوع إلا بعد أن يسأله. كان لبقاً حين وجد المسيا الذى كان يجمع فى شخصه الكهنوت والملكية.

- لقد دعى مع الآخرين ليكون تلميذاً ثم رسولاً. لقد وجدنا لمحات منه فى مناسبات مختلفة.. يوم إشباع الخمسة آلاف.. يوم استشارة فيلبس فى أمر اليونانيين الذين أرادوا أن يروا يسوع.. يوم استمع إلى أخيه ورأى بعينيه مجئ ثلاثة آلاف إلى ملكوت الله.

- لقد وقعت عليه القرعة، لكى ينطلق إلى مدينة اللد بفلسطين وإلى بلاد الأكراد.. وذهابه إلى مدينة اللد ومعه تلميذه فليمون، الذى كان رخيم الصوت حسن المنطق ذلق اللسان حلو الحديث، ولما وجد أهل المدينة كانوا قد آمنوا على يدى بطرس، وشيدوا لهم كنيسة فى مدينتهم، لذلك أمر أندراوس تلميذه، أن يصعد فوق المنبر ويقرأ للشعب. ولما سمع كهنة الأوثان بمجئ أندراوس الرسول، حملوا حرابهم وأتوا إلى الكنيسة، ووقفوا

خارجاً ليسمعوه، إن كان يطعن فى آلهتهم، وهناك سمعوا فليمون التلميذ يقرأ من المزامير، وتأثروا بصوته، ولانت قلوبهم، ودخلوا الكنيسة وخروا عند قدمى أندراوس وآمنوا بالمسيح فعمدهم، وكل من بقى فى المدينة من عبدة الأوثان. ثم خرج من اللد وانطلق إلى بلاد الأكراد ومدن أكسيس وأرجناس وأسيفوس.

- لقد مضى أندراوس الرسول مع برتولماوس إلى مدينة عازرينوس، وكان أهلها أشراراً لايعرفون الله، وأخذ الرسولان يعلمانهم ويبشرانهم، حتى اهتدى إلى الله خلق كثير منهم، وأما الذين لم يؤمنوا فقد تآمروا عليه وأرسلوا إليه يستدعونه، حتى إذا أقبل إليهم يقتلونه، ولكن وجهه النورانى وبسماته الحلوة ومنطقه العذب، دفع الرسل الموفدون لأن يصغوا إلى تعاليمه، وآمنوا بالمسيح، ولم يعودا إلى الذين أرسلوهم. حينئذ عزم غير المؤمنين أن يذهبوا إليه ويحرقوه بأيديهم. ولما اجتمعوا حوله لتنفيذ فعلتهم، ركع وصلى لله كثيراً، ورأوا ناراً تسقط من السماء فخافوا وآمنوا.

- وشاع اسم الرسول أندراوس فى تلك البلاد، وآمن على يديه كثيرون على أن كهنة الأوثان لم يكفوا عن طلبه للانتقام منه، فذهبوا إليه وأوثقوه وضربوه ضرباً مبرحاً، وبعد أن طافوا به المدينة عرياناً، ألقوه فى السجن حتى يصلبوه فى الغد.

- وكان من عاداتهم، إذا قتلوا أحداً صلباً يرجمونه أيضاً، فقضى الرسول ليلته يصلى، فظهر له المسيح وقواه، وعرفه بأنه قد آن وقت انطلاقه من عالم الشقاء. ولما كان الغد أخذوه وصلبوه على خشبة.

- وهى صليب مخصوص يدعى صليب مار أندراوس.

- فأتى قوم من المؤمنين، وحملوا جسده ودفنوه فى قبر خاص.

● وماذا عن فيلبس؟

– فيلبس كلمة يونانية معناها الرجل الفارس أو محب الخير. وفيلبس الرسول هو أول شخص دعاه المسيح بالذات وقال له اتبعنى. لقد كان موضع اهتمام وعناية، رغم أنه كان إنساناً بطيئاً فى التنفيذ يعوزه الحماس والاندفاع وسرعة الخاطر والحركة الدائبة. فهو لم يكن بين الذين سعوا إلى يسوع، ولكن يسوع هو الذى وجده.

● لفيلبس مواقف.. موقف من إطعام الخمسة آلاف. موقفه يوم تقدم إليه نفر من اليونان الدخلاء، الذين كانوا يقضون أيام العيد فى فناء الهيكل الخارجى فى أورشليم، وطلبوا أن يروا يسوع، فوسطوا فيلبس الذى لم يجد فى نفسه الشجاعة ليتقدم بهم إلى المسيح.

– لقد كان فيلبس من المتبحرين فى دراسة الأسفار المقدسة والناموس، والأنبياء. كما كان صديقاً لنثنائيل الذى كان إسرائيلياً مثله. ومن المؤكد أن يسوع سعى إليه، لأنه أحس بحاجته إليه، وعرف بإمكانياته المستترة، سواء من هدوء الطبع ودماثة الخلق والحكمة سياسياً ومنطقياً، لذلك اختاره المسيح وعينه رسولاً مع الإثنى عشر ليكون معه أولاً، ثم ليرسله مع الآخرين لبث دعوته وحمل رسالته.

● لقد أطاع فيلبس الدعوة الأولى ورافق المسيح فى رحلاته شاهداً بأنه وجد المسيا.

– على كل فالتقاليد المسيحية تقول إن فيلبس الرسول إنطلق إلى أفريقيا، للمناداة برسالة الإنجيل، وآمن على يديه جموع كثيرة، ثم ذهب إلى هيرابوليس ورد أهلها إلى معرفة الله، إلا أن المؤمنين هناك تشاوروا على قتله، بحجة أنه عصا أمر الملك، الذى كان يمنع دخول الغرباء إلى

مدينتهم، فوثبوا عليه وقيدوه. أما هو فكان يبتسم فى وجوههم، وتألبوا عليه وعذبوه كثيراً، ثم صلبوه منكساً، ودفن جسده فى هيرابوليس القريبة من لادوكية فى آسيا الصغرى.

وعلى كل حال، لم نعرف عن فيلبس أنه دون شيئاً من أقوال تفوه بها، ولا أعمال أتاها، أو قدم لنا بياناً عن الرحلات التى قام بها، أو البلدان التى زارها.

- ● وماذا عن نثنائيل؟

- – نثنائيل وبرتولماوس هما إسمان لشخص واحد، ويذكره يوحنا بنثنائيل أما متى ومرقس ولوقا يسمونه برتولماوس. وبرتولماوس كلمة آرامية معناها ابن الحارث. وقد ذكر اسمه فى قائمة الرسل فى الإنجيل.

- ● لقد إنطلق هذا الرسول إلى الواحات ومعه بطرس، الذى أدخله إلى المدينة بحيلة إذ باعه كعبد، وعاد هو من حيث أتى.

- – وأخذ برثولماوس يبشر أهل الواحات ويدعوهم لمعرفة الحق. كما مضى إلى بلاد البربر مع أندراوس تلميذه الذى آمن على يديه، وبقى الإثنان يجاهدان بين تلك القبائل التى كانت تتسم بالعناد والشر، حتى قبلوا دعوتهما ودخلوا فى دين المسيح. فأقاما لهما كهنة وبنيا كنائس.

- ● ومن هناك مضى برثولماوس وحده إلى البلاد التى على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، إلى قوم لايعرفون الله، فنادى فيهم وجذبهم إلى الإيمان بيسوع المسيح، وكان يأمرهم بالطهر والعفاف، والبعد عن المنكرات.

- – وانتهى أمره إلى أغريباس الملك فحنق عليه، وأمر أن يضعوه فى جوال من شعر، يملأوه رملاً ويطرحوه فى البحر، ففعلوا به كما أمر الملك.

- وماذا عن توما؟

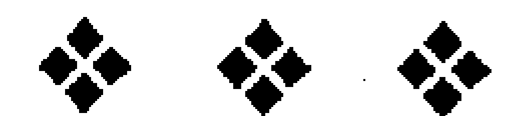
- توما كلمة مشتقة من أصل آرامى ومعناها التؤم. اصطفاه المسيح بين الإثنى عشر وعينه رسولاً. لقد كان توما إنساناً عملياً صريحاً مخلصاً، كما كان شجاعاً جريئاً، لقد وثق يسوع بتوما وآمن به واختاره رسولاً وبقى على الإيمان به إلى نهاية الطريق. لقد عالجه يسوع بالصبر والتؤدة، وأخذه باللين والحلم وهيأ له الفرصة تلو الفرصة للتقدم والارتقاء.

- ما يؤخذ على توما هو غيابه عن التلاميذ بعد القيامة.

- على كل لقد انطلق توما، بعد حلول الروح القدس على التلاميذ، إلى بلاد ما بين النهرين وفارس، وهناك نادى برسالة الإنجيل، وصنع الله على يديه آيات كثيرة، وآمن على يديه كثيرون وبنى لهم كنائس.

- ومما يقال عنه إنه هو الذى عمد المجوس الثلاثة الذين أتوا من المشرق، وسجدوا إلى المسيح بعد ميلاده فى بيت لحم، ثم قصد بعد ذلك إلى بلاد الهند، حيث أسس هناك كنيسة ماتزال باقية حتى اليوم (كنيسة مارتوما) فى جنوب الهند، ويتبعها نحو مليون نسمة. وقيل إن ملك تلك البلاد حنق عليه أخيراً، وأمر بضربه بالحراب ومات شهيداً.

- على كل لقد اتهم توما بأنه كان مرتاباً متشككاً.



• وماذا عن متى العشار؟

- أعتقد أننا سبق أن تكلمنا عنه وعن إنجيله (إنجيل متى). ومع ذلك نقول متى كلمة آرامية معناها هبة الله، ومتى كان اسمه لاوى قبل دعوته للتلمذة. لقد كان يعمل فى وظيفة لجباية الأموال فى مدينة كفر ناحوم التى اتخذها المسيح وطناً له، حين طلب منه المسيح أن يتبعه.

• لقد كان متى عبرانياً من سبط لاوى، اتسم بالكبرياء والضيق. لم يحن رقبته. لقد كان عشاراً وقد أثرت هذه الوظيفة فى أخلاقه، باعتباره جامعاً للمكوس والضرائب، سواء من الصيادين أو التجار.

- وباعتباره رجلاً محاسباً، كان حريصاً مدققاً فى الحساب، مسنوداً من الحكومة، لذلك لم يعبأ كثيراً بعداء أمته وكراهيتها للطبقة التى إنتمى إليها. فهو عبرانى فخور متكبر ضيق الأفق بحكم إنتمائه إلى شعب متزمت، شاعر بسلطان الدولة التى منحته السلطة، مقدراً المسئولية فى حفظ الأرقام والودائع التى أؤتمن عليها. لقد كان متى رجلاً متديناً قبل أن يدعوه المسيح.

• وهذا واضح من إلمامه بأسفار العهد القديم، الذى اقتبس منها الكثير.

- لقد أقام وليمة للمسيح، كانت بمثابة تكريم وإخلاص له، كما كانت بمثابة حفلة وداعية لأقرانه الذين إفترق عنهم فى سلام.

• على كل نستطيع أن نقول إن متى كتب فى إنجيله- بشارته- عن المسيح، الملك الفادى، الذى جاء ليسترد الملك الذى لوثته الخطية، ويرده إلى مكان الجمال والمجد والبهاء.

- لقد نادى متى بأرض فلسطين، وفى صور وصيدا ثم انطلق إلى بلاد الحبشة، ودخل بلاد الكهنة، وردهم إلى معرفة الله. وبعد أن جاب فى أنحاء أخرى من الحبشة، عاد إلى أورشليم، فاجتمع إليه جماعة من اليهود الذين كانوا قد اهتدوا على يديه، وطلبوا منه أن يدون لهم خلاصة بعثته إلى بلاد الهند، وكان ذلك فى السنة الأولى من حكم الإمبراطور إقلاديوس، وهى السنة التاسعة بعد الصعود.

- وماذا عن يعقوب بن حلفى (الصغير) ؟

- هو أحد أخوة المسيح (يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا)- باعتبار أن الكتاب كان يدعو الأقارب إخوة- وقد أطلق عليه لقب البار. وكان أول أسقف لكنيسة أورشليم، ورئيساً لأول مجمع مسيحى، وصاحب الرسالة المنسوبة إليه فى أسفار العهد الجديد.

- لقد سلك مسلك الرصانة والتعقل، وحال دون الانشقاق بين الحزبين اليهود والأمم. لقد كان أكثر الرسل تمسكاً بالتقاليد.

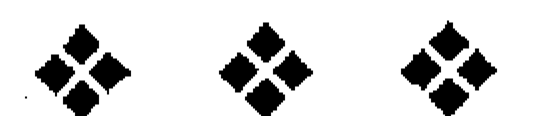
- على كل اليهود بعد أن فشلوا فى إصطياد بولس نتيجة رفع دعواه إلى قيصر وأرسله فستوس إلى رومية، فقد تحولوا إلى يعقوب وأقاموه فى وسطهم، وطلبوا منه أن ينكر الإيمان بالمسيح أمام كل الشعب، ولكنه رفع صوته بجرأة، وصاح أمام الجمهور معترفاً، بأن المخلص ربنا يسوع المسيح هو ابن الله. فلم يطق اليهود شهادة ذلك الرجل الذى كان يحبه الجميع، أعظم بار بين البشر لتقواه وحياته التقشفية، وتهيأت لهم فرصة قتله؛ بسبب الفوضى التى أحدثتها وفاة فستوس فى اليهودية.

- على كل هذا الرجل الذى كان مقدساً من بطن أمه، الذى لم يشرب خمراً أو مسكراً ولا أكل لحماً، ولم يعل رأسه موسى ولم يدهن نفسه بالزيت. والذى كان مسموحاً له بدخول الهيكل وحده، والذى كان يجثو على ركبتيه طالباً الصفح عن الشعب.. هذا الرجل الذى بسبب كلامه آمن البعض أن يسوع هو المسيح، وتوسلوا إليه أن يقنع كل الذين قدموا إلى عيد الفصح، ولأنهم يثقون فيه كما يثق كل الشعب، باعتباره باراً ولا يحابى الوجوه.

– لقد طلبوا من يعقوب، أن يقف فوق جناح الهيكل لكى يراه جميع الشعب ويسمعوا كلماته. ووقف وأعلن أن يسوع ابن الإنسان، هو نفسه يجلس فى السماء عن يمين القوة، وسوف يأتى على سحاب السماء. واقتنع الكثيرون وهتفوا ليعقوب، وأدرك الكتبة والفريسيون أنهم أساءوا التصرف، إذ مهدوا لشهادة يعقوب، وقرروا الصعود وطرحه إلى أسفل، وبالفعل طرحوا يعقوب البار إلى أسفل، ورجموه لأنه لم يمت إثر سقوطه. أما هو.

- فالتفت وجثا على ركبتيه، وتوسل إلى الله أن يغفر لهم، لأنهم لايعلمون ماذا يفعلون.

– وبينما هم يرجمونه تقدم أحدهم، وكان معه عصا فضرب يعقوب البار على رأسه، وهكذا استشهد فدفنوه فى الحال بجانب الهيكل.



- ● وماذا عن تداوس أو لباوس أو يهوذا؟

- تقصد التلميذ ذا الثلاثة أسماء لباوس ومعناها صاحب القلب، وتداوس ومعناها رجل العاطفة، ويهوذا معناها الممدوح. وهذا كل مايعرف عنه من أسفار الإنجيل. ولكن الباحثين قد أجمعوا، على أن يهوذا هذا كان أخا ليعقوب بن حلفى.

- ● ليهوذا هذا رسالة واحدة تتألف من فصل واحد، ضمنها اقتباسات مما تأثر به من سفر أخنوخ السابع، ومن شهادات الآباء الإثنى عشر، وشهادة موسى وهى مؤلفات يهودية، وتعطى مؤشراً على أن يهوذا من الجليل، وقد تربى فى الناصرة مع يسوع المسيح. وهو أحد الرسل الإثنى عشر المختارين.

- وهو الذى كتب الرسالة فى النصف الأخير من القرن الأول، إلى جماعة من المسيحيين فى الشرق الأدنى. لقد جال ينادى برسالة الإنجيل فى بلاد كثيرة، ثم مضى بعد ذلك إلى سوريا وما بين النهرين، فآمن كثيرون على يديه. لقد كان تداوس أول من غرس البذرة المسيحية فى بلاد الأرمن.

- ● وهو الذى ذهب إلى الحاكم إيجارا ملك أدسا وشفاه بعد أن عجزت عن شفائه كل حكمة البشر.. وعرف الملك منه أنه كان تلميذاً للمسيح ابن الله، وهو الذى أرسله إليه ليمنحه سؤل قلبه حسب إيمانه.

- وظل تداوس زمناً يبث الدعوة فى هذه البلاد، حتى آمن الملك وكل شعبه. لقد جاهد جهاداً طويلاً ثم مات.

- وماذا عن سمعان القانوى؟

– قانوي معناها هاج وأحمر. وسمعان القانوى هو سمعان الغيور، وقد أطلقه عليه البشير لوقا، لأنه كان عضوا فى حزب الغيورين الإرهابى، الذين رفعوا راية العصيان تحت زعامة يهوذا الجليلى فى أيام الاكتتاب، وذلك قبل أن يبدأ المسيح خدمته العامة بعشرين عاماً.

- على كل هذا التلميذ لم تتعرض له كتابات الأولين، ولم يذكر التقليد شيئاً عنه. وقد ذكر إسمه بين التلاميذ، وظل أميناً مخلصاً لعهد التلمذة إلى المنتهى. لقد كان متمرداً سياسياً، يأبى الخضوع لرومية، خرج على حزبه وانضم تحت لواء يسوع. لقد ترك حزب الحديد والنار والخنجر.

– وانتمى إلى جماعة تلاميذ يسوع، التى شعارها الحق والبر والرحمة والعدل.

- وماذا عن يهوذا الإسخريوطى (الخائن).

– يكفى أن نقول عنه التلميذ الخائن، فقد خان سيده ومعلمه المسيح، وسلمه للصلب من أجل ثلاثين من الفضة، أى من أجل خمسة جنيهات.

- من أجل هذا المبلغ الضئيل الذى ساوم الكهنة عليه.

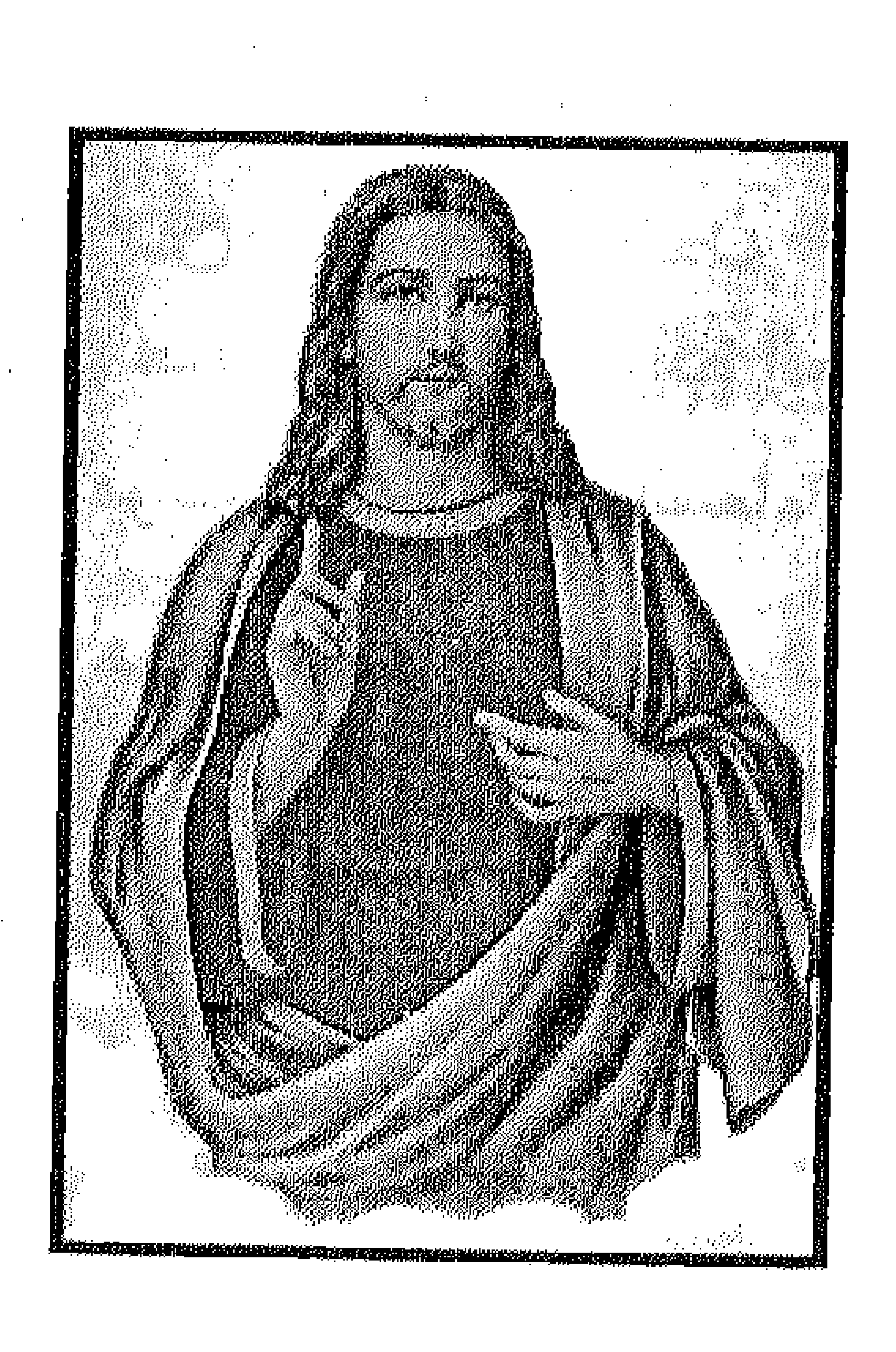
– بالطبع هذا ليس ببعيد، عن شخص مثل يهوذا، طامع جاحد غير أمين على الصندوق الذى كان معه وهو أمين عليه. هذا السارق لما كان فى عهدته، احتج ببجاحة عندما تقدمت المرأة التى دهنت قدمى يسوع بالطيب.

- هذا الخبيث الحاقد الطامع، قام بإعطاء المعلومات، التى تمكن السلطات اليهودية من القبض على المسيح، وقاد الجند وأعطاهم علامة التعرف عليه بقبلة غاشة. هل هناك بجاحة أكثر من ذلك؟

- لقد سلم سيده للموت، ثم إنطلق وأزهق روحه، وقضى على حياته بالانتحار. وهكذا كانت نهاية يهوذا الشرير. خاتمة كئيبة محزنه، لتلميذ كان زميلاً لإبن الإنسان، وشاهداً لأعماله وهو ينادى برسالة الإنجيل، يصنع المعجزات ويخرج الأرواح النجسة ويقيم الموتى.

- مع الأسف.. حقاً زامل يهوذا فادى البشر، ولكن مع الأسف رفع عليه عقبه.

- أعتقد ياولدى أن ما قدمناه من حوار عن ملامح عصر يسوع المسيح، فيه الكفاية النسبية، كى يكون مدخلاً لمعرفة «حياة يسوع المسيح وأعماله معجزاته وتعاليمه»، وكى يكون دليلاً ومرشداً وبركة لشباب الجيل وأسرهم وتمهيداً لدراسة هذه الشخصية المتميزة فى تفردها يسوع المسيح الله.. ابن الله.. ابن الإنسان.



[٩] ختـــام

- لقد أسعدتنا يا أبانا المكرم، بتلك الرحلة الممتعة فى قطار محبتك، فأخذتنا إلى العهد القديم وأنبياء اليهود، وأوقفتنا للتأمل فى محطة الفريسيين والصدوقيين والكتبة، وعرفتنا بهم كأحزاب فى عصر المسيح. ومررت بنا، لنلتقى مع هيرودس وبيلاطس البنطى وقيافا رئيس الكهنة، وهم ثلاث شخصيات لهاتاريخ مؤسف، ومواقف مخجلة فى محاكمة المسيح وصلبه. ولم تبخل علينا، باستراحة قصيرة لالتقاط الأنفاس وتجديد النشاط، قدمت لنا فيها حياة السيدة العذراء مريم، بكل فضائلها ومميزاتها منذ ولادتها حتى النياحة. واصطحبتنا مع العائلة المقدسة، فى رحلة هروبها إلى مصر، وأخيراً وصل قطار رحلتنا، إلى محطة البشائر الأربعة وسيرة كاتبيها، فاستقبلنا تلاميذ المسيح الإثنى عشر فرحين مهللين.

وأعتقد يا أبانا القديس المبارك، أن شباب جيلنا وأسرهم، بعد أن استضفتهم فى هذه الرحلة القصيرة الشيقة، قد تعرفوا على ملامح عصر المسيح، وتجولوا فى دهاليز التاريخ، وأصبحوا قادرين على الدخول لمعرفة «حياة يسوع المسيح» منذ أن حبلت به أمه (السيدة العذراء مريم) وحتى صلبه وموته وقيامته من الأموات وصعوده إلى السماء.

وليكن ما قدمناه فى هذا الكتاب، هو المدخل الحقيقى للبحث والتنقيب، فى قصة التجسد والصلب والقيامة، بكل دقائقها وعظمتها.. وبداية الطريق إلى الإيمان والمحبة والرجاء.

«تم بمشيئة الله»

فهرس

■ المقدمة ٧

١) أضواء على العهد القديم ٩

٢) أنبياء اليهود ١٨

٣) الفريسيون والصدوقيون والكتبة ٢٣

٤) شخصيات لها تاريخ: (هيرودس- بيلاطس البنطى- قيافا رئيس الكهنة) ٣٥

٥) العذراء مريم... أم المخلص ٤٨

٦) العائلة المقدسة ورحلة الهروب إلى مصر ٦٧

٧) البشائر الأربعة وسيرة كاتبيها (متى- مرقس- لوقا- يوحنا) ٧٦

٨) أضواء علي تلاميذ المسيح الإثني عشر ٨٥

■ ختام ١٠٦

■ الفهرس ١٠٧

■ المراجع ١٠٨

المراجع

كتب :

السيدة العذراء	البابا شنوده الثالث
إيماننا الأقدس	المتنيح الأنبا يؤانس
فضائل العذراء مريم	الأنبا متاؤوس
السيدة العذراء والعائلة المقدسة	القمص سيداروس عبد المسيح
الرب يسوع المسيح	القمص شارويم يعقوب
حياة المسيح	جيوفانى بابيتى
تاريخ الكنيسة	يوسابيس القيصرى
نظرات في الإنجيل	القس جاد المنفلوطى
الإثني عشر	حبيب سعيد
لمحات من التاريخ في الإنجيل	حبيب سعيد
تاريخ الكنيسة القبطية	القس منسي يوحنا
دراسات خشوعية	القس براين ديسيرم
مطالعات في الكتاب المقدس	حنا جرجس عبد السيد
رسل المسيح	سمير سعد ميخائيل
دراسات في العهد الجديد	كنيسة السيدة العذراء (الفجالة)
الكتبة والفريسيين	يوسف حبيب
رحلة العائلة المقدسة إلي مصر	الأنبا غريغوريوس

صحف ومجلات :

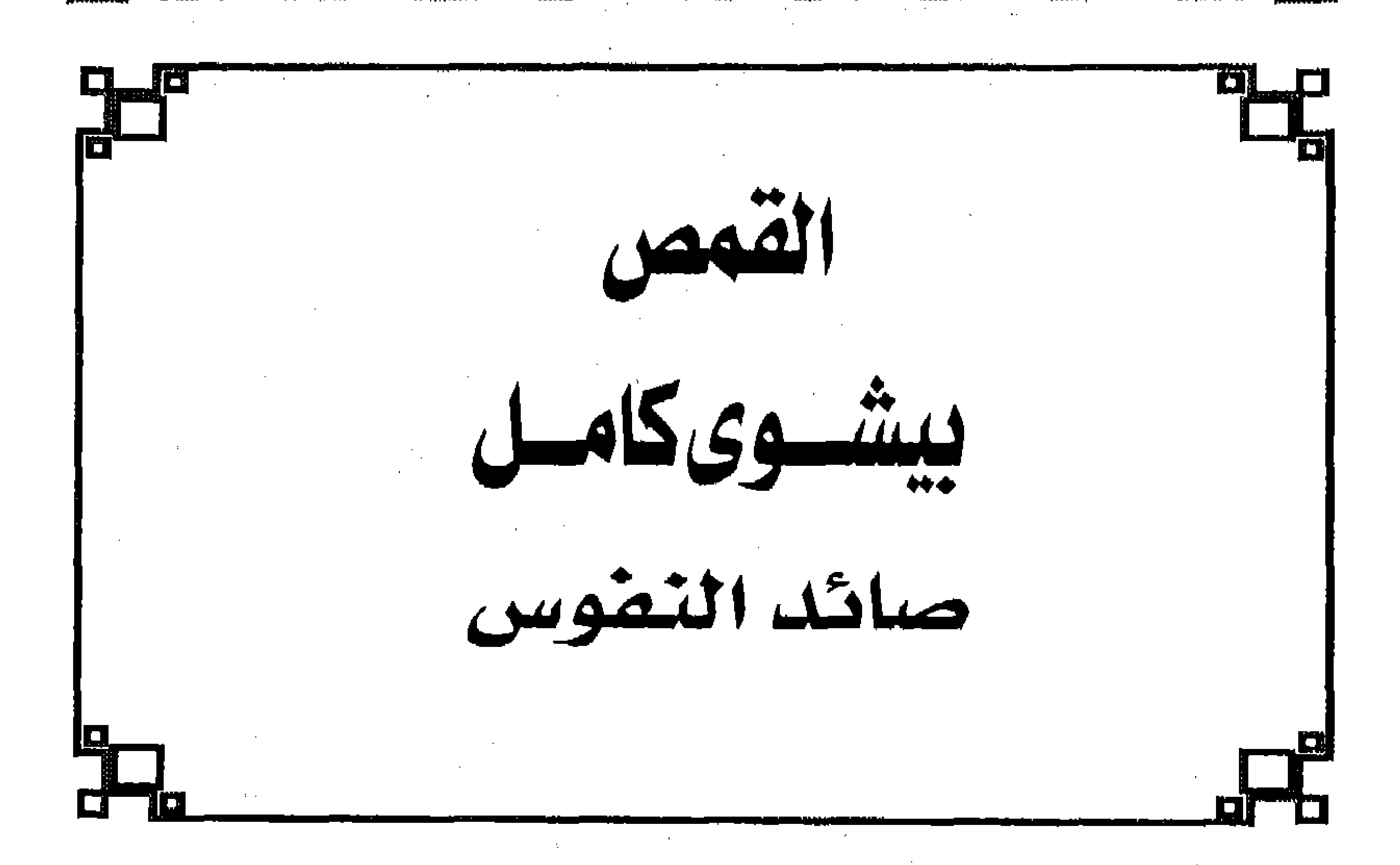
وطنى - الكرازة - رسالة المحبة- مدارس الأحد- الهلال - الأنوار الحق- مرقس- رسالة الكنيسة...

قريباً للمؤلف بمشيئة الرب :

حياة
يسوع المسيح

أعماله وأمثاله .. تعاليمه ومعجزاته

كتاب لاغنى عنه للأسرة بكل أفرادها



كتب للمؤلف

❖ البابا كيرلس السادس – رجل فوق الكلمات   الجزء الأول
❖ البابا كيرلس السادس – الراعى والرعاة   الجزء الثانى
❖ الأنبا أبرام .. رجل الرحمة بركة الأجيال
❖ البابا كيرلس الخامس .. رجل البساطة حافظ الإيمان
❖ ثلاثة فى الإيمان
(البابا بطرس الجاولى- البابا كيرلس الرابع- الأنبا صرابامون أبوطرحة)
❖ مارمينا العجائبى القديس الذى إشتهى أن يصير شهيداً
❖ فى حديقة القديسين
(الأنبا بولا- الأنبا أنطونيوس- البابا أثناسيوس الرسولى- البابا شنوده الثالث)
❖ الأنبا أندراوس رجل التعليم والمحبة والفضائل
❖ البطل مارجرجس الرومانى أمير الشهداء رائد الفرسان
❖ البابا بطرس الأول .. خاتم الشهداء حصن الإيمان
❖ الطاحونة .. بركة الأجيال بين الأمس واليوم
❖ فيلوباتير مرقوريوس أبى سيفين .. محارب بالحق والحب والعفة
❖ الأنبا شنوده رئيس المتوحدين الصعيدى
(القديس الذى كلمه يسوع المسيح محذراً)
❖ الصليب وتساؤلات الأحفاد
❖ المدخل إلى حياة يسوع المسيح وعصره

شكر وتقدير

إلى أبينا العزيز الحبر الجليل نيافة

الأنبا أغناطيوس

أسقف السويس

الذى غمرنى بالمحبة، وأولانى بالرعاية، وعضدنى بالصلاة، وتابعنى بالإرشاد.

معترفاً بفضل نيافته، فى تغيير مسار كتاباتى، ومعتزاً بما قدمه لى من معلومات مستفيضة قيمة، ساعدتنى على تفهم أبعاد شخصيات الشهداء والقديسين والرسل الذين تناولتهم بالحوار في كتبى.

ليبارك الرب خطواته وجهوده

ويحفظ لنا حياته فى صحة وسلام



مجدى سلامة

كلمة الغلاف

هذا الكتاب «المدخل إلى حياة يسوع المسيح وعصره» يقدمه لشباب هذا الجيل وأسرهم «الأستاذ مجدى سلامة». ملقياً الضوء على مجمل العهد القديم وأسفاره وأنبياء اليهود.

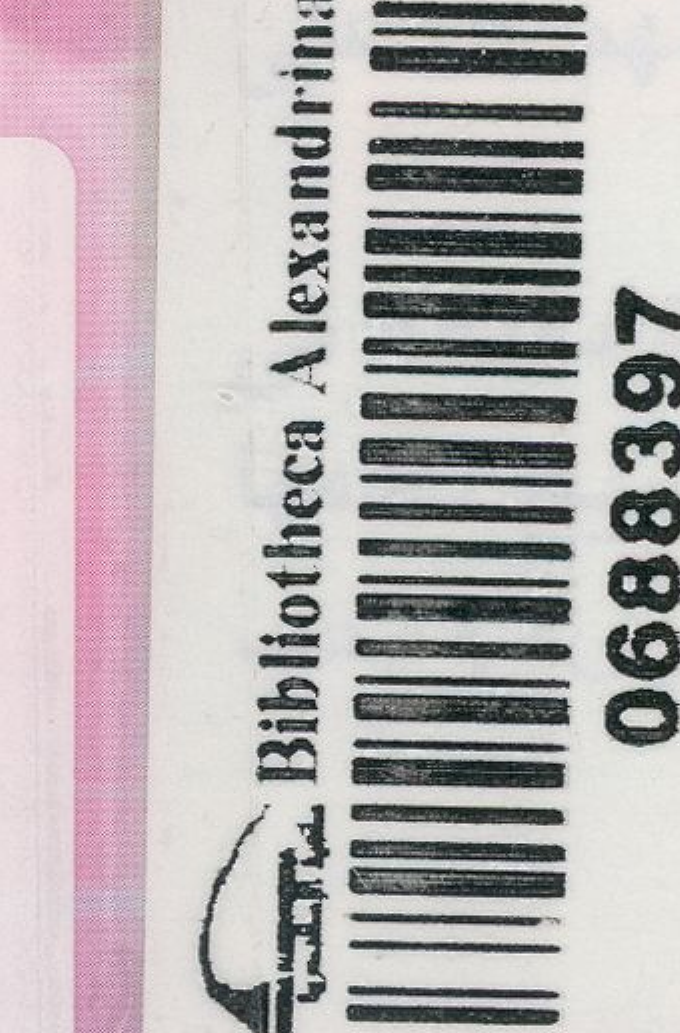
لم يغفل الكتاب طوائف الفريسيين والصدوقيين والكتبة وأوجه الخلاف بينهم... لم يغفل الكتاب ثلاث شخصيات مؤثرة وثيقة الصلة بمحاكمة المسيح وصلبه هم هيرودس وبيلاطس وقيافا.

لم يغفل الكتاب القديس يوسف النجار وكذلك السيدة العذراء مريم أم المخلص فقدم لمحة تاريخية عن حياتها وفضائلها من المولد حتى النياحة.

لم يتجاهل الكتاب رحلة هروب العائلة المقدسة إلى مصر ذهاباً وعودة متضمنة كل ما صنعه الطفل يسوع من معجزات خارقة.

لقد تطرق الكتاب إلى شخصيات كاتبى الأناجيل الأربعة، وكذلك تلاميذ المسيح الإثنى عشر فقدم حياتهم وأع... حدة.

إن هذا الكتاب حوار مع قديس يعتبر بمثابة رح... دهاليز التاريخ وإطلالة على العصر الذى عاش فيه ا... دليلاً مرشداً ومدخلاً هاماً لكل باحث ودارس وق... للتزود بالمعرفة لحياة يسوع المسيح وعصره.



السعر ٣٥٠ م